20 me. année No 987

Le Caire 2 — 6 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٨٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٩ رمضان سنة ١٣٧١ — ٢ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

إن الحكم لواحد ..

للاستاذ سيد قطب

عجيب هذا القرآن ! يقرؤه القارئ ويعيده ، ويحفظه ويرتله ، ويفسره ويفهمه ، ويخيل إليه أنه قد استوعب معانيه ، وأدرك مراميه ، ويمر بالنصوص بعد هذا مرارا عابرا ، غير متوقع أن يجد فيها جديدا غير ما فهمه منها ووعاه

وفجأة يتلو أو يستمع ، فإذا انبثاقات جديدة عجيبة للكلمة والآية تلتمع فى الذهن والحس والقلب، لم تخطر من قبل أبدا ؛ وإذا آفاق من التأملات والمشاعر والتأثرات تتفتح ، لا يدرى أين كانت محبوسة فى النص الواضح البسيط !

وهكذا يبدو أن رصيد هذا الكتاب العجيب الخالد لا يفنى ولا ينتهى ، وأن معين الإلهام فيه لا يضمحل ولا يغيض، وأن الدنيا ستظل تكشف فيه آفاقا بعد آفاق ، كلما استعدت طاقتها لتلقى ما فيه من إيحاءات : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

تلك الآية البسيطة القصيرة التى مدونت بهما هذه الكلمة « إن الحكم لواحد » .. كم من مرة تلوتها ، وكم من مرة سمعتها ، وكم من مرة ضمتها .. ولكنى أنتفض لفجأة على لمسة منها لروحى وحسى ومشاعرى جميعا . لمسة لم أعهدها من قبل فيها ، على طول صحبتى للقرآن ، وعلى طول عيشى فى ظلال القرآن ..

إن الحكم لواحد ..

إنه مفرق الطريق فى حياة البشرية .. إنه الانقلاب الأكبر فى خط سيرها الطويل .. الانقلاب من العبودية إلى الحرية ، من الخوف إلى الأمن ، من المهانة إلى الكرامة ، من السيئة والضلال والفوضى ، إلى الهدى والنور والنظام . إنه إعلان وجود الإنسان ، الذى لا يستذل لإنسان مثله ، كائنا من كان

وإننى لأنظر إلى البشرية فى تاريخها المتطاول ، قبل أن توحد الإله ، فأطلع على صحائف من الهوان ، وعلى أودية من الحيرة ، وعلى ألوان من القلق .. الأوهام تسحقها ، والمخاوف ترهقها ، والعبودية تطحنها .. وإن هى إلا جملة واحدة . جملة مشحونة بما يملأ صفحات وكتبا . بل بما يشغل أجيالا وقرونا . جملة واحدة تغير وجه التاريخ ، وطبيعة الحياة ، وضمائر الملايين ، وعلاقات الأفراد والجماعات ؛ وتملى كتاب البشرية كله لتخط صفحة خالدة فى كتابها الجديد..

إن الحكم لواحد ..

هو وحده القادر ، وهو وحده القاهر .. لو اجتمع أهل هذه الأرض على أن يضروا أحدا من خلقه بغير إرادة منه ما قدروا ؛ ولو اجتمع أهل هذه الأرض على أن ينفعوا أحدا من خلقه بغير

إرادة منه ما استطاعوا : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب »

إن الحكم لواحد ..

لا تعنو الحياة إلا له ، ولا تتوجه القلوب إلا إليه ، ولا تنحنى الهامات إلا لجبروته . فإذا عفرت له الجباه مرة فقد عزت أمام الجبابرة . وإذا ركع له الراكعون مرة فقد نصبوا هاماتهم أمام الطغاة ، وإذا عبده العابدون فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

إن الحكم لواحد ..

هو وحده والكل سواه عيال . هو وحده والكل دونه ضئال . هو وحده يخفض ويرفع ، ويعطى ويمنع ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . بيدك الخير . إنك على كل شئ قدير »

إن الحكم لواحد ..

عقيدة ما أحوج المكافحين إليها .. تشد من عزائمهم ، وتمنحهم القوة التى لا تصمد لها قوة ، وتصلهم بالواحد الأحد الذى يجير ولا يجار عليه

ما أحوجنا إلى هذه العقيدة — ونحن نجتاز امتحاناً عسيراً ، سقطت فيه رجولات كثيرة . رجولات زائفة مموهة ، خدعت الكثيرين . حتى إذا جاء دور الامتحان تهاوت تحت مطارقه ، وتساقطت ذابلة ذليلة صفراء كأوراق الخريف

ما أحوج الذين جبنوا بعد تشجع ، وتخاذلوا بعد تماسك ، وأحجموا بعد إقدام — ما أحوجهم جميعا أن يتدبروا تلك الآية القصيرة ، وأن تلمس قلوبهم جذوتها المقدسة ، فيرتد الجبناء شجعاناً ، والمتخاذلون أقوياء ، والمحجمون أجرياء . ويستشعروا كرامة الإنسان التى تأبى ذل الإنسان

الا كم سقطت رجولات مزيفة فى محرقة الامتحان .. سقط بعضها تحت مطارق الخوف ، وبعضها تحت مطارق الطمع ، وبعضها تحت مطارق الجشع ، وبعضها تحت مطارق الذل ، وبعضها تحت مطارق الإرهاب .. وكلها .. كلها ما كان أحوجها إلى لمسة من ذلك الروح ، تنفض عنها المخاوف والمطامع ، وتطهرها من الحرص والجبن ، فتتطلع إلى أعلى دون انحناء ، وتعتز بالجبار القاهر فلا تعنو منها الجباه

٠٠٠

انتفضت كل هذه المعانى انتفاضة مفاجئة فى نفسى ، وأنا أمر مروراً عابراً بتلك الآية القصيرة الواضحة البسيطة .. فإذا جبابرة الأرض كلهم فى عينى أقزام .. وإذا طغاة الأرض كلهم فى حسى أوهام .. وارتسمت فى نفسى بحروف من نور كلمات أخرى من ذلك القرآن

« أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ »

لا بل الله الواحد القهار ، الله أحنى له الرأس مرة ، ثم أنظر من عل إلى جميع الرؤوس . الله أسجد له مرة ، ثم أنهض لأحتقر الجبارين ، الله ، تستمسك يدى بعروته ، ثم ليكن بعد ذلك ما يكون

٠٠٠

بعض من يخاتلون أنفسهم ، ويخونون الإنسانية كلها معهم ، يراودوننا على أن نفقد هذا الإله بعدما وجدناه ! يراودوننا على أن نجرد نفوسنا من هذه القوة الكبرى . يراودوننا على أن نواجه قوة الشر والظلم دون سلاح

إنهم يخاتلون أنفسهم ، وإنها لخيانة للبشرية كلها فى كفاحها الطويل ، كفاحها ضد الظلم والشر ، كفاحها ضد الحرص والجشع ، كفاحها ضد الهوى والشهوة ، كفاحها ضد الضعف والتوهل ، كفاحها ضد العبودية التى استبدت من قبل بالإنسان

إنها معركة طويلة الأمد ، فما أحوج الإنسان فيها إلى إله ، إله واحد لا معبود للناس سواه

سيد قطب

فضل المدنية العربية
على المدنية الغربية

للدكتور فيليب حتى
أستاذ التاريخ بجامعة برنجستون بالولايات المتحدة

خلاصة موجزة لسبع محاضرات ألقاها الأستاذ باللغة الإنجليزية في جامعة سان باولو

١ — في اسبانيا

هنالك جسور ثلاثة اجتازت عليها المدنية الغربية بعناصرها الأدبية والعلمية والفلسفية والفنية من الشرق العربي إلى الغرب الأوربي : وهي سورية في العهد الصليبي (١٠٩٨ — حوالي ١٣٠٠) وصقلية في عهد الأغلبيين (٨٣١ — ١٠٩١) ثم النورمنديين ، وإسبانيا في عهد الإسلام . والذي نعنيه بالأدب العربي ما أنتجته بالأكثر قرائح الشعوب السورية واللبنانية والعراقية والفارسية وتضمنته اللغة العربية . وأهم هذه الجسور إسبانيا التي أقام العرب فيها نحو ثمانية قرون (٧١١ — ١٤٩٢) ومن مدنها طليطلة التي أصبحت في القرن الثاني عشر مركزاً هاماً للترجمة من العربية بفضل رئيس الأساقفة ريموند . وعقب طليطلة كاستيل وليون برعاية الملك ألفونسو الحكيم (١٢٥٢ — ٤) الذي أولع ولعاً خاصاً بالأدب العربي . حتى بعد أن طرد الاسبان العرب من البلاد بقي الموريسكو لمدة طويلة يكتبون الإسبانية بأحرف عربية وينشئون الأدب المعروف بالأدب الأعجمي (literatura Aljamiado)

أهم مادة في الأدب العربي إنما هي المادة الدينية . نعم إن القرآن الكريم ترجم إلى اللاتينية (١١٤١) ومنها إلى الفرنسية ومن هذه إلى الانكليزية (١٦٤٩) ولكنه لم يكن له أثر بين في الأدب الغربي لما اتصف به أبناء الغرب من التعصب الديني ضد الإسلام . ولعل أهم أثر هو قصة « المعراج والإسراء » الشار إليهما في القرآن من طرف خفي (سورة ١٧ : ١) والتي توسع في شرحها والإضافة إليها القصاص وأصبحت

مثلا تحداه الشاعر الإيطالي الخالد دانتي في ملحمته « الكوميديا الالهية » . والظاهر أن دانتي تأثر بكتابات الشاعر الفيلسوف السوري المعري (توفي ١٠٥٧) والشاعر العربي الصوفي الاسباني ابن عربي (توفي ١٢٤٠)

ولعل المقامات التي أنشأها بديع الزمان الهمذاني « توفي ١٠٠٨ » وتبعه فيها الحريري وغيرهما أغنى كنز أدبي بعد القرآن . وبفضل العرب الأسبان دخل هذا الطراز من الأساليب الأدبية الجديدة إلى أوربا الغربية فقلده الكتبة الاسبان والطليان ولاسيما في القصص المسماة فيجارو Figaro وكانت أول قصة إسبانية من هذا النوع (El Cavallero Cifar) وفيها ما يماثل قصص جحا

اتخذ الشعر العربي في إسبانيا ميزة جديدة قوامها وصف الطبيعة والتغني بجمالها . ومن هذا القبيل بعض أشعار عبد الرحمن الداخل « ٧٥٥ — ٨٨ » وابن زيدون « توفي ١٠٧١ »

ومن المواضيع الجديدة التي عنى بها الشعر العربي الاسباني الهوى العذري الذي يرافق المجتمع المتمدن بانعزال الحريم وتحجب النساء . فنسج على منوال هذا الأسلوب الجديد شعراء مسيحيون في إسبانيا وفي أوائل القرن الحادي عشر انتقل هذا الأسلوب إلى جنوبي فرنسا وظهرت آثاره في أدب الـ Provencal

وهنالك ضرب من الشعر القومي أنشده الشعراء العاميون في مسلمي إسبانيا بداهة مما يذكرنا بأناشيد القرويين اللبنانيين المعاصرين . وكان من أهم أنواعه الزجل والموشح اللذان نسج على منوالهما شعراء إسبانيا والبرتغال ، ومن إيبيريا سار هذا الأسلوب إلى فرنسا . وكان المنشدون الجوالون المدعوون تروبادور Trovadores من جملته . ومن أول شعراء الزجل وأعظمهم ابن قزمان القرطبي « توفي ١١٦٠ » . ومجموعة الأناشيد التي جمعها ألفونسو الحكيم تحت عنوان Cantigas de Santa Maria والمحفوظة من أطرف المجموعات الشعرية في القرون الوسطى إنما أوزانها من نوعي الزجل والموشح . وكذلك الأغاني المسيحية المعروفة بـ Villancico من هذا الطراز . وكان المستعربون Mozarades من أهم نقلة هذا الشعر

ومعظم الأدب العربي من النوع القصصي ومن أبكر

أمثلته « كليلة ودمنة » المترجمة عن السنسكريتية . هذه المجموعة العربية ترجمها ألفونسو فكانت من أول الكتب النثرية بالاسبانية ومن أول الكتب القصصية فى هذه اللغة ، وبعد القرن الثالث عشر أخذ الكتبة الاسبان والبرتغاليون ينسجون على منوالها ، وتبعهم الكتبة الفرنسيون . ومما حبب الأسلوب القصصى العربى إلى أبناء الغرب ألوانه الزاهية وخياله الفنى وتضمنه أمثولات أخلاقية لنفسة السامع والمطالع ، ويدخل فى هذا الباب « مختار الحكم » الذى وضعه الأمير السورى مبشر ابن فاتك زهاء حوالى ١٠٥٣ والذى ترجم إلى الاسبانية بعنوان Bokados de Yeo وطبع بالإنكليزية عام ١٤٧٧ فكان أول كتاب طبع فى هذه اللغة

أما ألف ليلة وليلة وهى أهم مجموعة قصص عربية فجاءت متأخرة ولم تظهر بشكلها الحالى حتى القرن الخامس عشر ، ولكن منها قصص كقصة السندباد البحرى وصلت شفاها إلى الاسبان وترجمت إلى لغتهم . ومما لا ريب فيه أن بعض قصص شوسر Chaucer بالانكليزية وقصص بوكاشيو Boccacio بالايطالية ترجع إلى ألف ليلة وليلة الشهيرة . ويذهب المستشرقون إلى أن الرواية الحديثة على ما يعرفها أبناء الغرب ترجع إلى قصة ابن سراج بالاسبانية historia del Abencerrage

أما الروائى الشاعر الاسبانى العظيم سرفانتس Cervantes فالمعروف عنه أنه بقى أسيراً فى أيدى قرصان عرب من الجزائر نحو خمس سنوات وهو يدعى فى مقدمة مؤلفه الرائع Don Quixote بأن كتابه من أصل عربى

٢ — فى العلوم

لم يكن لأبناء الجزيرة العربية لدى ظهور الاسلام علم بالمعنى الاصطلاحى ، ولكنهم بعد أن تغلبوا فى القرن السابع على الهلال الخصيب وفارس ومصر أخذوا عن الشعوب المغلوبة من سورية ولبنانية وعراقية وغيرها ، العلوم الحقيقية ، وكانت العلوم السورية مؤسسة على اليونانية والآرامية والسامية القديمة . أما عصر الترجمة من اليونانية إلى العربية فيتناول نحو قرن « ٧٥٠ — ٨٥٠ » وكان مركزه بغداد وقوامه العلماء السوريون الذين كانوا يتقنون اليونانية منذ فتوح الاسكندر فى القرن الرابع قبل المسيح

وفى هذا القرن جاءت من الهند مخطوطة فى علم الفلك فترجمت إلى العربية فى بغداد وأصبحت مصدراً للزيج الفلكى الذى نشره الخوارزمى « توفى نحو ٨٥٠ » وكذلك جاءت من الهند مخطوطة رياضية دخلت بفضلها الأرقام الهندية إلى العالم العربى بما فيها الصفر

ومن الأدب الفارسى نقل ابن المقفع فى بغداد قصص كليلة ودمنة كما نقل أبناء بختيشوع ، الأسرة السورية المسيحية ، مبادئ الطب الفارسى الذى كان قد تأثر بالطب اليونانى

ولكن أهم مصدر وأغزره نقل منه العرب فى ذلك العهد إنما كان المصدر اليونانى وذلك كان بفضل نشاط علماء سورية المسيحيين وشيخهم حنين بن إسحق « توفى ٨٧٣ » الذى كان له وتلاميذه اليد الطولى فى نقل كتب جالينوس الطبية ومؤلفات أرسطو العلمية والفلسفية . وكانت عملية النقل من اليونانية إلى الآرامية أو السريانية لغة سورية يومئذ ومن هذه إلى العربية . أما السوريون غير المسيحيين وهم الصابئة عبدة النجوم فى حران فإن اهتمامهم اقتصر على علمى الفلك والرياضيات ؛ فنقلوا من اليونانية إلى العربية مؤلفات اقليدس وأرخميدس وكتاب بطليموس فى الفلك والجغرافية وهو « المجسطى »

وعقب عصر الترجمة عن الهندية والفارسية والآرامية واليونانية عهد الابداع . فلم يكتف العلماء العربيون بنقل تراث الأجيال السابقة ؛ بل أضافوا إليه الكثير من نتائج تنقيباتهم وأبحاثهم وأغنوها من عندهم قبل أن يورثوها لخلفائهم

فى الطب نشأ الرازى « توفى ٩٢٥ » الذى كان أول من ميز بطريقة علمية بين الحصبة والجدرى . وترجمت كتبه إلى اللاتينية فى طليطلة من أعمال إسبانيا بهمة جيرارد الكريمونى توفى (١١٨٧) وبعد ذلك فى صقلية . وأصبحت كتب التدريس المعول عليها فى كليات الطب الأولى فى إيطاليا وإسبانيا وفرنسا . كذلك ترجم جيرارد كتاب « القانون » فى الطب لابن سينا « توفى ١٠٣٧ » ولعله أول كتاب يقول بعدوى السل . أما

الطبيب الدمشقي ابن النفيس (توفي ١٢٨٨) فإنه وصف الدورة الدموية قبل سرفيتس البرتغالي المنسوب فضل هذا الاكتشاف إليه بنحو ثلاثة قرون

وفي إسبانيا زها أبو القاسم الزهاوي القرطبي (توفي ١٠١٣) أعظم جراحي عصره. وكتابه في الجراحة ترجم إلى اللاتينية في طليطلة وأصبح الكتاب المعول عليه للتدريس في جامعات أوربا وبقي كذلك في جامعة أكسفورد حتى عام ١٧٧٨. وزها بعده ابن رشد (توفي ١١٩٨) الشهير بفلسفته الأرسطالية الذي كان أول من لاحظ أن من مرض بالجدري لا يمرض بهذا الداء ثانية، والذي كان أول من فهم وظيفة شبكة العين. ومعاصر ابن رشد وصنوه في الفلسفة ابن ميمون اليهودي (توفي ١٢٠٤) كان أيضاً طبيباً، ولعله أول من وصف أطعمة النباتي للمصاب بالبواسير. أما ابن الخطيب (توفي ١٣٥٠) المعروف بأديه فإنه كان أحد الأطباء القليلين الذين أدركوا أن الطاعون المعروف باسم الموت الأسود الذي اجتاح أوربا يومئذ وكاد يتركها خلوا من السكان إنما كان ينتشر بالعدوى من المريض إلى السليم لا بأمر الله

وهنالك علمان ساعدان للطب رقاهما العرب إلى حد غير مسبوق: النبات والكيمياء. من هو أعظم عالم نباتي وصيدلي أنجبته القرون الوسطى في العالم المتمدن؟ هو بلا ريب ابن البيطار (توفي ١٢٤٨) من مواليد ملقا باسبانيا ودفين دمشق الشام. ففي كتابه «الأدوية المفردة» وصف ابن البيطار ١٤٠٠ نبتة منها ٣٠٠ لم يسبقه أحد إلى وصفها. أما علم الكيمياء فيكفي القول أن هذه الكلمة دخلت اللغات الأوربية عن طريق العربية وأن أبا هذا العلم هو جابر بن حيان الذي زها في العراق حوالي ٧٧٦

وفي الكلمات العربية الكيماوية والطبية التي تسربت إلى اللغات الأوربية من العربية — كالإكسير والسودا والشراب والقلي والكحول والأنمد والأنبيق — دليل ساطع على ما هو مدين به العلم الغربي للعلماء العرب

وفي علمي الرياضيات والفلك لمع العالم الفارسي الأصل البغدادي الاقامة الخوارزمي (توفي حوالي ٨٥٠)، فهو أول من صنف كتابا في الرياضيات وعنونه «الجبر» ولما ترجم كتابه في توليدو في أواخر القرن الثاني عشر دخل هذا العلم إلى أوربا ودخل معه اسمه. وبفضل ترجمة هذا الكتاب دخلت «الأرقام العربية» بما فيها الصفر إلى اللغات الأوربية. وكلمة صفر في اللغات الأوربية الحديثة مأخوذة من الكلمة العربية. والخوارزمي هو أيضاً واضع الزيج الفلكي الذي نقله ألفونسو الحكيم ملك قشتالة وليون (توفي ١٢٨٤) إلى الإسبانية وأصبح أساساً للزيج الفرنسي الموضوع بعدئذ في مرسيليه وانتشر شرقاً حتى الصين

ويكفي للدلالة على فضل علماء العرب على أبناء الغرب أن عدداً من أسماء النجوم — كعقرب والجدي وذنب — لم تزل اليوم في اللغات الأوربية محتفظة بأسمائها العربية

البقية في العدد القادم

فيليب حتي

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الاول من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته ثمانمائة صفحة ونيفاً. وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

٦ ـ حسن البنـــا

الرجل القرآنى

بقلم روبير جاكسون

للاستاذ أنور الجندى

«يروى روبير جاكسون فى هذا الفصل قصة لقائه مع الشهيد البنا»

فى فبراير سنة ١٩٤٦، كنت فى زيارة للقاهرة .. وقد رأيت أن أقابل الرجل الذى يتبعه نصف مليون شخص، وكتبت فى النيويورك كرونيكل بالنص:

«زرت هذا الأسبوع رجلا قد يصبح من أبرز الرجال فى التاريخ المعاصر، وقد يخفى اسمه إذا كانت الحوادث أكبر منه، ذلك هو الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان. وقد صار الإخوان عاملا مهما فى السياسة المصرية، ويقال إن جملة الإخوان ٨٠ /. من لجان العمال والطلبة الذين كانوا فى طليعة الحوادث الصاخبة الأخيرة فى مصر. ويقول الأستاذ البنا: إن حركة الإخوان فوق الأحزاب، وسبيلها هو العودة إلى القرآن، وغايتها جمع كلمة المسلمين فى كل أرجاء الدنيا

هذا ما كتبته منذ خمس سنوات، وقد صدقتنى الأحداث فيما ذهبت إليه، فقد ذهب الرجل مبكرا.. وكان أمل الشرق فى صراعه مع المستعمر، وأنا أفهم جيدا أن الشرق يطمح إلى مصلح يضم صفوفه، ويرد له كيانه، وطالما رجا الكتاب والمفكرون الغربيون اقتراب اليوم الذى يتحقق فيه هذا الأمل

غير أنه فى اليوم الذى بات فيه مثل هذا الأمل قاب قوسين أو أدنى، انتهت حياة الرجل على وضع غير مألوف.. وبطريقة شاذة!

هكذا الشرق لا يستطيع أن يحتفظ طويلا بالكنز الذى يقع فى يده..

.. لقد لفت هذا الرجل نظرى بصورته الفذة، عندما كنت أزور القاهرة بعد أن التقيت بطائفة كبرى من زعماء مصر ورؤساء الأحزاب فيها

كان هذا الرجل خلاب المظهر، دقيق العبارة، بالرغم من أنه لا يعرف لغة أجنبية. لقد حاول أتباعه الذين كانوا يترجمون بينى وبينه أن يصوروا لى أهداف هذه الدعوة؛ وأفاضوا فى الحديث على صورة لم تقنعنى

وظل الرجل صامتا، حتى إذا بدت له الحيرة فى وجهى، قال لهم قولوا له شيئا واحدا: هل قرأت عن محمد؟ قلت نعم. قال: هل عرفت ما دعا إليه وصنعه؟ قلت نعم. قال هذا هو ما نريده

وكان فى هذه الكلمات القليلة ما أغنانى عن الكثير مما حاول بعض أنصار البنا أن يقولوه لى

.. لفت نظرى إلى هذا الرجل سمته البسيط، ومظاهره العادى، وثقته التى لا حد لها بنفسه، وإيمانه العجيب بفكرته

كنت أتوقع أن يحيى اليوم الذى يسيطر فيه هذا الرجل على الزعامة الشعبية، لا فى مصر وحدها، بل فى الشرق كله

وسافرت من مصر بعد أن حصلت على تقارير وافية ضافية عن الرجل وتاريخه، وأهدافه وحياته، وقد قرأتها جميعا وأخذت أقارن بينه وبين جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، ومحمد أحمد المهدى، والسيد السنوسى، ومحمد بن عبد الوهاب، فوصل بى البحث إلى أن الرجل قد أفاد من تجارب هؤلاء جميعا، وأخذ خير ما عندهم، وأمكنه أن يتفادى ما وقعوا فيه من أخطاء. ومن أمثلة ذلك أنه جمع بين وسيلتين متعارضتين، جرى على إحداهما الأفغانى، وارتقى الأخرى محمد عبده

.. كان الأفغانى يرى الإصلاح عن طريق الحكم، ويراه محمد عبده عن طريق التربية.. وقد استطاع حسن البنا أن يدمج الوسيلتين معا، وأن يأخذ بهما جميعا، كما أنه وصل إلى ما لم يصلوا إليه، وهو جمع صفوة المثقفين من الطبقات والثقافات المختلفة إلى مذهب موحد، وهدف محدد

ثم أخذت أتتبع خطوات الرجل بعد أن عدت من أمريكا وأنا مشغول به حتى أثير حوله غبار الشبهات حينا، مما انتهى

إلى اعتقال أنصاره ، وهي مرحلة كان من الضروري أن يمر بها اتباعه ، ثم استشهاده قبل أن يتم رسالته

وبالرغم من أنني كنت أسمع في القاهرة أن الرجل لم يعمل شيئا حتى الآن ، وأنه لم يزد على جمع مجموعات ضخمة من الشباب حوله ، غير أن معركة فلسطين ، ومعركة التحرير الأخيرة في القنال ، قد أثبتتا بوضوح أن الرجل صنع بطولات خارقة . . . قل أن تجد لها مثيلا ، إلا في تاريخ العهد الأول للدعوة الإسلامية

وقد تقرر أن الرجل كان بعيد الأثر في كثير من الأحداث العالمية التي وقعت في الشرق ، بل إن ما وقع في إيران كان خليقا أن يقع في كل بلدان الشرق ، لو طال عمر هذا الرجل . . وكان يمكن أن يتحقق لهذه البلاد الكثير لو اتفق حسن البنا وآية الله كاشاني على أن يزيلا الخلاف بين الشيعة وأهل السنة

لقد التقى الرجلان في الحجاز سنة ١٩٣٨ ، ويبدو أنهما تفاهما ووصلا إلى نقطة رئيسية لولا أن عوجل حسن البنا بالاغتيال

كل ما أستطيع أن أقوله في هذه القضية ، أن الرجل أفلت من غوائل المرأة والمال والجاه ، وهي المغريات الثلاث التي سلطها المستعمر على المجاهدين ، وقد فشلت كل المحاولات التي بذلت في سبيل إغرائه

وقد أعانه على ذلك صوفيته الصادقة ، وزهده الطبيعي ، فقد تزوج مبكرا ، وعاش فقيرا ، وجعل جاهه في ثقة أولئك الذين التفوا حوله ، وأمضى حياته القصيرة المريضة مجانبا لميادين الشهرة الكاذبة ، وأسباب الترف الرخيص

وكان يترقب الأحداث في صبر ويلقاها في هدوء ، ويتعرض لها في اطمئنان ، ويواجهها في جرأة

لقد شاءت الأقدار أن يرتبط تاريخ ولادته وتاريخ وفاته بحادثين من أضخم الأحداث في الشرق ، فقد ولد عام ١٩٠٦ وهو عام دنشواي ، ومات ١٩٤٩ ، وهو عام إسرائيل

وكان الرجل محبوبا في معاملة خصومه وأنصاره على السواء ، كان لا يهاجم خصومه ولا يصارعهم بقدر ما يحاول إقناعهم وكسبهم إلى صفه ، وكان يرى أن الصراع بين هيئتين لا يأتي بالنتائج المرجوة

وكان يؤمن بالخصومة الفكرية ، ولا يحولها إلى خصومة شخصية ، ولكنه مع ذلك لم يسلم من إيذاء معاصريه ومنافسيه ، فقد أعلنت عليه الأحزاب حربا عنيفة . .

كان الرجل يقتفي خطوات عمر وعلي ، ويصارع في مثل بيئة الحسين ، فمات مثلهم شهيدا

وإني على أتم يقين من أن أي حركة وطنية يمكن أن تظهر في الشرق بعد ذلك يمكن إرجاعها إلى المقاييس التي وضعها هذا الرائد العملاق

ولا يستبعد أن تؤرخ به الحوادث بعد قليل . .

لقد سمعت الكثير من خصومه ، وكان هذا طبيعيا ، بل كان من الضروري أن يختلف الناس في رجل استطاع أن يجمع حوله هذا الحشد الضخم من الناس بسحر حديثه وجمال منطقه ، وقد انصرف هؤلاء من حول الأحزاب والجماعات والفرق الصوفية والقهوات ودور اللهو

وكان لابد أن يصبح هذا مثار حقد بعض الناس الذين أدهشهم أن يستطيع هذا الرجل المتجرد الفقير أن يجمع إليه مثل هذا الشباب

ومن الأمور التي لفتت نظري أنه أخذ من عمر خصلة من أبرز خصاله ، تلك هي إبعاد الأهل عن مقاعد الدعوة ، فقد ظل عبد الرحمن ومحمد وعبد الباسط ، وهم إخوته بعيدين من كبريات المناصب ، وطالما كان يحاسبهم ، كما كان عمر يحاسب أهله ويضاعف لهم العقوبة إذا قصروا

وقد أتيح لي أن ألتقي بوالده الوقور ، الشيخ عبد الرحمن البنا ، وسمعته يتحدث مع بعض الإخوان . إنه كان يتمنى لو أن ابنه وضع الكتب في أمر الإسلام واكتفى بذلك ؛ وقد رد عليه الأستاذ البنا بأنه منشرح الصدر لمعالجة الإسلام عن طريق إنشاء الجماعات وتأليف الرجال

السكلام صلة

أنور الجندي

١ ـ إندونيسيا

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

« إنها السلاسل متصلة من الحدائق الغناء »

سمو الأمير محمد علي

« إندونيسيا هي جزر الجنة »

إنها قطع من الماس تزين خط الاستواء »

ملتا تولي

بهذه الصفات وصف الكتاب والجغرافيون إندونيسيا. ونحن في هذه الأيام في أشد الحاجة إلى أن يعرف بعضنا بعضا مما يؤدي إلى مزيد من التعاون بيننا؛ فربما كان في ذلك خير لنا وللناس جميعا. وقد تحدثت إلى القراء الكرام عن الباكستان، وها أنذا أحدثهم عن إندونيسيا

هناك في جنوب شرق آسيا وبينها وبين أستراليا تنتشر مئات من الجزر الكبيرة والصغيرة تداعبها أمواج المحيطين الهادي والهندي منذ أقدم العصور.. هذه الجزر هي إندونيسيا

ولفظ إندونيسيا مركب من كلمتين: « إندو » ومعناها الهند « ونيسيا » ومعناها جزر. فإندونيسيا معناها جزر الهند. وكانت هذه الجزائر تعرف فيما مضى باسم جزائر الهند الشرقية، وكان العرب يطلقون عليها اسم جاوة، مع أن جاوة اسم لجزيرة واحدة من تلك الجزر المتعددة. وقد حاول الهولنديون تسميتها بالهند الهولندية ولكن الوطنيين رفضوا، واضطرت الحكومة الهولندية إلى الاعتراف رسميا باسم إندونيسيا في ٢٣ أغسطس ١٩٤٠ تحقيقا لرغبة الوطنيين الإندونيسيين

وفي ١٧ أغسطس ١٩٤٥ أعلنت إندونيسيا استقلالها، وجاهدت في سبيله، وأرغمت هولندا على الاعتراف به

تتكون إندونيسيا من مئات من الجزائر يبلغ تعدادها أربعة آلاف تقريبا، ولكن أهمها: جاوه وسومطره وبورنيو وغينيا الجديدة (تريان) وسليبس

وتبلغ مساحتها ٧٤٣٫٣٤٠ ميلا مربعا، أي قدر مساحة أوربا تقريبا، وعدد سكانها ٧٢ مليونا منهم ٩٥٪ مسلمون، ٥٪ مسيحيون وبوذيون

وهنا ملاحظة جديرة بالذكر وهي أن إندونيسيا بمعناها السياسي تشمل الجزائر التي كانت خاضعة لحكم هولندا ثم استقلت عنها وهي التي ذكرناها سابقاً. أما إندونيسيا (١) بمعناها الجغرافي فتشمل: جزائر الفلبين وكانت خاضعة للولايات المتحدة الأمريكية ثم استقلت عنها؛ وجزيرة فرموزا وهي مقر حكومة الصين الوطنية حاليا؛ وشبه جزيرة الملايو وهي تحت حكم بريطانيا؛ وجزيرة مدغشقر وهي تحت الحكم الفرنسي

ويتكلم الإندونيسيون اللغة الإندونيسية وهي لغة دواوينهم الرسمية، ولكن اللغة العربية منتشرة تؤدى بها الصلاة ويقرأ بها القرآن وتخطب الجمعة ثم تترجم إلى اللغة الإندونيسية

ومناخ إندونيسيا استوائي، ذلك أن خط الاستواء يمر بوسطها، فهذه الجزائر تقع بين خطي عرض ٢٠ درجة شمالا و ٢٠ درجة جنوبا. ولكن يجب أن نذكر أن ارتفاع سطح هذه الجزائر وإحاطة البحر بها كان لها تأثير كبير في المناخ، فقد خففا من حدة الحرارة وجعلا مناخ هذه الجزائر جميلا معتدلا وهواءها رطبا نقيا. والدليل على ذلك أن درجة الحرارة في جاكارتا (بتافيا) تتراوح بين ٢٠°، ٢٥° ويبلغ متوسطها في شهري فبراير ويناير ٢٥٫٣° وفي شهري يولية وأغسطس ٢٥٫٨° وفي هذه الشهور تكون الشمس متعامدة على خط الاستواء

وفي هذه المنطقة تنعدم الفصول، فالحرارة دائمة ولكنها تزيد نوعا عند تعامد الشمس على خط الاستواء في مارس وسبتمبر وتقل نوعا في يونيه وديسمبر لأن الشمس تتعامد في هذين الفصلين على مداري السرطان والجدي

والمطر في هذه المنطقة كما هو الحال في الأقاليم الاستوائية دائم، ولكنه يزداد في فصلي تعامد الشمس على خط الاستواء ويقل نوعا عند تعامدها على المدارين

ونظرا لوفرة المطر والحرارة غزر الإنبات في إندونيسيا،

(١) إندونيسيا العظمى

وهي غنية بمناظرها الطبيعية الساحرة ، وتكثر فيها البراكين والجبال الخضراء كما تكثر فيها البحيرات والأنهار التي تروي تلك الأرض الواسعة المنبسطة المكسوة بالسندس الأخضر الذي يعطي منظرا فردوسيا جميلا ورونقا سحريا أصيلا ، وقد قال سمو الأمير محمد علي حين زار إندونيسيا « إنها السلاسل متصلة من الحدائق الغناء »

وهذه الجزائر غنية بالإنتاج الزراعي والمعدني ، فهي تنتج المطاط وجوز الهند والسكر والشاي والبن والتبغ والكينا والتوابل والخيزران والأخشاب والأرز والفواكه والبترول والفحم والقصدير والرصاص والذهب والحديد

وتنتج إندونيسيا ٣/٤ المطاط العالمي و ٢/٣ قصدير العالم

دولة إسلامية

يتجنى كثير من المستشرقين على الإسلام ويقولون عنه إنه دين انتشر بحد السيف . وليس أقوى في الرد على هؤلاء المفترين من ذكر قصة انتشار الإسلام في إندونيسيا . ذلك أنه معروف بداهة أن العرب لم يرسلوا حملة أو حملات إلى إندونيسيا لفتحها أو لنشر الإسلام بها .. وإذن فكيف دخل الإندونيسيون في الإســـلام ؟

وللاجابة عن هـذا السؤال أحب أن أتحدث في كثير من الإيجاز عن تاريخ إندونيسيا

يعتقد بعض الجغرافيين أن الإنسان الجاوي كان أقدم أنواع السلالات البشرية التي وجدت في العالم . ويؤمن هؤلاء بأن موقع جاوة المتوسط في العالم مما ساعد على انتشار الإنسان في الكرة الأرضية ، فجاوة سهلة الاتصال بأستراليا وبآسيا ومنها إلى أوربا وأفريقيا وأمريكا . لكن هـذه النظرية ما تزال في حاجة قوية إلى براهين تؤكد صحتها ، وإن كان من الثابت أن الإنسان الجاوي كان من أقدم سلالات الإنسان ، فقد وجدت بقايا جثمانية يقدر عمرها بأربعين ألف سنة

ويرجع أصل الإندونيسيين الحاليين إلى الجنس المغولي الطوراني . وقد هاجروا إليها من وراء جبال هيمالايا ووصلوا إلى الساحل الهندي ومن هناك ركبوا البحر إلى الأرخبيل الإندونيسي . وهناك هجرات أخرى وصلت إلى إندونيسيا عن طريق جنوب شرق آسيا والصين والصين الهندية

وفي ٥٤٥ م تعرضت إندونيسيا لهجرات أخرى من الهند ، وتتابعت تلك الهجرات ، واستوطن الهنود وتناسلوا حتى أصبحوا من أهالي البلاد الحقيقيين ، وأقاموا فيها ممالك ودولا واسعة الأرجاء مترامية الأطراف ، وكانت لها مستعمرات وأساطيل تشق عباب البحار ، ووصلت تجارتها إلى الصين وأستراليا الشمالية وأفريقيا والهند وبلاد الفرس ، ومن هنا كانت البضائع تنقل بواسطة القوافل إلى البندقية بإيطاليا عن طريق آسيا الصغرى ومنها توزع في سائر أنحاء أوربا

وفي هذا العصر انتشرت الديانة الهندوكية في إندونيسيا وشيدت كذلك المعابد والتماثيل للاله بوذا ، وكذلك تشبع الإندونيسيون بالثقافة الهندية واصطبغ المجتمع الإندونيسي بالصبغة الهندية فظهر نظام الطبقات المعروف عند البراهمة : طبقات الكهنة ورجال الدين وطبقة الأشراف والحكام وطبقة التجار والصناع وطبقة العمال والرقيق

ويسمى هذا العصر بعصر الديانة الهندية

دخول الإسلام

ليس من السهل تحديد مبدإ دخول الإسلام في إندونيسيا ، ولكنا نستطيع أن نحدده بالتقريب على قدر الإمكان . فقد ورد في بعض كتب التاريخ أن التجار المسلمين من الهنود والفرس والعرب قد وصلوا في القرن التاسع الميلادي إلى شبه جزيرة الملايو . وليس معنى هذا أن الإسلام دخل تلك المنطقة في ذلك الوقت ، ولكن معناه أن الاتصال بدأ بين المسلمين وبين سكان تلك البلاد في ذلك الوقت على وجه التقريب

وتروي كتب التاريخ بعد ذلك أن أحد الأمراء المسلمين من الهنود قد هاجر إلى سومطرا وعرض على سلطانها أو أميرها الإسلام فأسلم ولقب بالملك الصالح وقد توفي هذا الملك ١٢٩٧ م

ويؤيد هذه الرواية ما ذكره الرحالة الإيطالي ماركو بولو الذي زار سومطرا ١٢٩٢ حيث قال « إن سكان مدن هذه المملكة مسلمون »

وهكذا نستطيع أن نقول إن الإسلام قد دخل إندونيسيا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر

على يد من دخل الإسلام إندونيسيا ؟ ليس من السهل تبيان ذلك على وجه التحقيق . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن التجار العرب هم أول من أدخل الإسلام ؛ ويقول فريق آخر إن الهنود أول من نشر الإسلام فى تلك البلاد ، ويذهب فريق ثالث إلى أن الإسلام قد دخل إندونيسيا على يد علماء من الفرس ، ويؤيدون ذلك بوجود بعض كلمات إندونيسية مشتقة من أصل فارسى

ويذهب فريق رابع إلى أن الإسلام دخل إندونيسيا بواسطة التجار الإندونيسيين الذين وصلوا بتجارتهم إلى الخليج الفارسى حتى بغداد وغيرها من المدن الإسلامية ، ثم بواسطة الهنود والفرس والعرب بعد ذلك

ومهما يكن الأمر فإن دخول الإسلام فى إندونيسيا لم يتم بواسطة سيف أو رمح وإنما تم على يد التجار المسلمين الذين دعوا الإندونيسيين إلى الإسلام فاستجابوا لهم ودخلوا فى دين الله أفواجا

وقد كانت سومطرا أول الجزائر دخولا فى الإسلام ومنها انتشر فى سائر أنحاء إندونيسيا ، وبهذا انكمش ظل البوذية وأصبح ٩٥٪ من الإندونيسيين مسلمين

وقد كانت الدول الإسلامية التى قامت فى إندونيسيا عظيمة قوية ، وظل المسلمون سادة إندونيسيا حتى بدأت النهضة الأوربية الحديثة، وكشف طريق رأس الرجاء الصالح وتكالبت الدول الأوربية على الاستعمار . هنا بدأ صراع رهيب بين الهولنديين الذين عملوا على استعمار إندونيسيا وبين الإندونيسيين، وقد انتهى النزال بسيادة هولندا على حكام تلك الجزائر . ولكن الشعب الإندونيسى ظل يقاوم . وقد تعرض دعاة النهوض من أبنائه لكثير من الأذى والاضطهاد ، فقد سجن ونفى الكثيرون، وعذب وشرد آخرون ، ولكن الإندونيسيين صبروا والعقبى للصابرين

ذلك أنه فى ١٩٤٠ دخلت اليابان الحرب وبدأت تستولى على الممتلكات الأوربية فى جنوب وشرق آسيا ، فاستولت على الصين وعلى الصين الهندية وعلى إندونيسيا وطردت الهولنديين ووقفت على أبواب الهند

وفى ١٩٤٥ هزمت اليابان وسلمت . حاول الهولنديون أن يعودوا إلى حكم الإندونيسيين ، ولكن الإندونيسيين أعلنوا استقلالهم فى ١٧ أغسطس ١٩٤٥ . حاولت هولندا إرغام الإندونيسيين على عودة الحكم الهولندى، ولكن الإندونيسيين استبسلوا فى الدفاع عن حريتهم وهزموا الهولنديين ، واضطرت هولندا إلى الاعتراف باستقلال إندونيسيا فى ١٧ أغسطس ١٩٤٩ . مرديكا

تبعث صلة

أبو الفتوح عطيفى

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى للرحلات الثانية من كتاب

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر فى الباكستان

ثمن الأول ثلاثون قرشا والثانى أربعون قرشا عدا أجرة البريد

والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

أبو العتاهية

للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى

أبو العتاهية والرشيد :

ليس يعنينا من حياة الشاعر فى عهد موسى الهادى إلا ما أظهره الأول من قصر النظر ونكران الجميل ، فقد كان الشاعر أثناء حكم المهدى صنيعة من صنائع هارون الرشيد ، وكان ذلك بالطبع يغضب الهادى المنافسة التى كانت بين الأخوين . ولم يكد الأخير يلى الحكم حتى أقبل عليه الشاعر إقبال المنقطع إليه، وأعرض عن هارون بل آذاه إيذاء مريراً لا ضرورة إليه ولامبرر له.. انظر إليه كيف يعرض بهارون فى أبيات قالها مهنئاً الهادى بمولود : —

أكثر موسى غيظ حساده ... وزين الأرض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد ... أصيد فى تقطيع أجداده
كأنى بعد قليل به ... بين موالية وقواده
فى محفل تخفق راياته ... قد طبق الأرض بأجناده

من ذلك الحاسد الذى أكثر موسى غيظه ؟ أليس ذلك الحاسد هو الرشيد ؟ إننا لانشك فى أن ذلك هو مراد الشاعر؛ إذ أن نزاعاً مريراً كان قائماً إذ ذاك بين الرشيد والهادى بسبب محاولة الأخير تولية ابنه جعفراً العهد بدلا من هارون ولى العهد الشرعى

فليس عجيباً والحال كذلك أن يبادر الرشيد بإرسال أبى العتاهية إلى السجن عقب تولية الخلافة عقاباً له على ما أظهره من نسيان للجميل وخروج على مقتضيات اللياقة . بل العجيب حقا أن يذكر صاحب الأغانى أن الرشيد إنما أرسل الشاعر إلى السجن لامتناع الأخير عن إنشاد شئ من الشعر له ، وما امتنع فيما يرويه الأغانى إلا حفظاً لعهد الهادى وضناً بشعره أن ينشد لأحد من بعده ، وكيف يصبر الرشيد على كل هذا العبث ، بل كيف ينسى للشاعر تعريضه به فى شعره وهو الذى قتل أبا عصمة رئيس حرس جعفر بن الهادى لقوله له يوماً وقد قابل جعفراً على أحد جسور بغداد :— « انتظر حتى يمر ولى العهد »

ومهما يكن من أسباب تلك الجفوة القصيرة فقد عادت الحال بين الرشيد والشاعر إلى ما كانت عليه من قبل ، وننسى الخليفة أو تناسى ما كان من سوء أدب الشاعر وقلة وفائه . والحق أن هارون كان مضطراً إلى مثل ذلك التغافل والتجاوز عن سيئات الشاعر إذ لم يكن له غنى عنه . فهارون مولع بالفتيات الحسان يحادثهن ويختلط بهن ويسمع إليهن ينشدن الشعر ويغنينه أو يعزفن على نغماته، وما أكثر ما يجيش فى صدر الخليفة من عواطف أو يعتلج بباله من خواطر نتيجة لاختلاطه بأولئك الجوارى الحسان . وما أشوقه إلى أن يرى خواطره وقد ترجمت فى شعر عذب وصارت أغانى وأناشيد تصدح بها جواريه الفائنات . يروى لنا التاريخ — وما أقل ما يروى بجانب مايهمل — أن الرشيد ربما أنشد البيت أو البيتين محاولا التعبير عن فكرة أو خاطر خطر له ثم يكل ذهنه ، وهنالك يلتفت إلى من حوله من الشعراء عليهم يسعفونه بإتمام ما بدأ . ويروى التاريخ أيضاً أنه ربما أعجب الرشيد بالبيت أو البيتين من الشعر وشرب عليهما وطرب وتمنى أن لو وجد من الشعراء من يلحق بهما بيتاً أو أكثر حتى يطول طربه وسروره ، ومن أولى الناس بالجلوس إلى جانب الخليفة وإسعافه فى مثل تلك الحال من أبى العتاهية الذى يقول فيه بشار بن برد وقد عجب من سرعة خاطره وسهولة قول الشعر عليه : « أشعر الناس مخنث أهل بغداد الذى يتناول شعره من كمه »

على أن شيئاً آخر كان يزيد فى تعلق الرشيد بأبى العتاهية وشغفه بشعره وذلك هو حبه لعتبة ، فقد خلق ذلك الحب بين الشاعر والخليفة نوعاً من المشاركة الوجدانية حيث كانا يجتمعان فيشكو كل منهما ما يلاقى فى سبيل غرامه . ولعل الأبيات التالية تصور لنا أدق تصوير ما كان بينهما من علاقة فى ذلك الشأن ، وقد بلغ من تذوق الخليفة لتلك الأبيات وإحساسه بصدق معانيها أن أمر بإحضار الشاعر من سجنه وطلب إليه أن يعيد إنشادها

على مسامعه ثم أمر له بخمسين ألف درهم على أثر سماعها ، وإليك الأبيات : —

يا عتب سيدتى أمالك دين ... حتى متى قلبى لديك رهين
وأنا القليل لكل ما حملتنى ... وأنا الشقى البائس المسكين
وأنا الفداة لكل بالك مسعد ... ولكل صب صاحب وخدين
لا بأس إن لذاك عندى راحة ... للصب أن يلقى الحزين حزين

أحس أبو العتاهية حاجة الرشيد الشديدة إليه فداخله شئ من الغرور والبطر ، ولم يعد يكفيه أن صار جليس الخليفة وشاعره الأول ، وفى ذلك مافيه من تكريم ، ولا أن يتناول كل عام خمسين ألف درهم عدا ما يتفضل به الخليفة من منح وعطايا فى شتى المناسبات ، بل أخذ يلح عليه فى أن يزوجه من عتبة ، ولم لا ؟ لقد كانت عتبة فيما مضى تعتذر عن الزواج بأنها كانت تخشى غضب المهدى أو زوجه .. أما الآن وقد ماتا وأصبح أمرها بيد هارون فما الذى يقف فى سبيل زواجه منها ؟ ولم يكن الرشيد متحمساً لذلك الزواج ، ولعله كان يعرف من أمر عتبة الشئ الكثير ، ويعلم مقدماً أنها لن توافق عليه ، ومن ثم أخذ يكسب الوقت بإعطائه ميعاداً إثر ميعاد ، واستمرت الحال على ذلك عشر سنوات كاملة . عشر سنوات ملأت الشاعر نقمة على ذلك الخليفة الذى يشرب ويطرب على ما أنشده الشاعر فى عتبة من أشعار أودعها ذوب قلبه وعصارة نفسه ، ثم لا يتحرك لإنقاذه أو يخف لتخفيف آلامه . ثم يروى المؤرخون أن الرشيد زار عتبة يوما من الأيام وفاتحها فى شأن الزواج من أبى العتاهية فرفضت ، فعاد الخليفة أدراجه واعتبر الأمر منتهيا . وما كان الشاعر من السذاجة بحيث يعتقد أن هارون مع ما كان عليه من بطش وجبروت قد عجز عن أن يحمل عتبة على الزواج منه لو أنه أخذ الأمر بشئ من الحزم والجد . وهكذا وقر فى نفس الشاعر أن عشر سنوات كاملة كلها إخلاص وتفان فى خدمة الرشيد ما كانت لتوجب للشاعر عليه وقفة واحدة حازمة ، وقفة لو أنها تمت لغيرت من حياة الشاعر وذهبت بكل ما كان يعانيه من بؤس وحرمان ، وما يحسه من ضمة وهوان . ومن الحق أن يقال إن عتبة لم تكن فى نظر الشاعر مجرد فتاة ينالها أو يفشل فى الحصول عليها ، وما كان أهون خطبها لو كانت كذلك ، فما أكثر أولئك الذين يحبون ويفشلون ثم لا يغير ذلك الفشل من مجرى حياتهم أو يضع من أقدارهم أو يسئ علاقتهم بغيرهم ، ولكن لشاعرنا ظروفا خاصة .. فقد كان فشله فى الزواج من عتبة الدليل الواقعى على صحة ما كان يهجس فى نفسه وما يتحدث به أعداؤه ومنافسوه من أنه وضيع بحكم مولده ونشأته .. وأن أى نجاح أدبى أو ثراء مادى لن يغير من تلك الحقيقة شيئا .. ومكمن ذلك المعنى فى نفسه إشارة عتبة أثناء رفضها الزواج منه إلى نشأته المتواضعة . ومن ثم ود الشاعر لو يبدد تلك الهواجس التى كانت تلاحقه وأن يكتسب ثقة بنفسه عن طريق الزواج من عتبة

ونعود إلى هارون فنرى الشاعر وقد حل مقامه عنده وغناءه له ، وتمنى أن لو وجد بابا غير بابه يذهب إليه ، وقد سنحت له الفرصة سنة ثمانين ومائة للهجرة ، فقد تولى الفضل بن الربيع حجابة الرشيد فى تلك السنة ، وأخذ يضع الخطة لتقويض سلطة البرامكة ، وسلاحه الأول فى ذلك الدس والوقيعة ، ذلك السلاح الفتاك الذى استعمله والده بنجاح ضد منافسه أبى عبيدالله وزير المهدى . ولكن أنى له ذلك وهارون وجعفر البرمكى روحان فى بدن واحد(١) ومجالس المغادمة والغناء تجمع بينهما من يوم لآخر ، فإذا ما شربا وطربا تكاشفا حتى لا يكاد يخفى أحدهما عن أخيه شيئاً . فكيف يكون الحال لو كذب الفضل كذبة أو افترى فرية وألقى بها فى أذن الرشيد فما كتشفها جعفر ولما تمهل محملها فى نفسه بعد ؟

لابد إذن لضمان نجاح خطة الفضل والتأكد من سريان سمومه فى ذهن الرشيد من وضع حد لتلك المجالس الصاخبة التى تجمع بينهما ، فلينتزع الفضل من مجلسهما إذن أبا العتاهية حتى لا يشيع البهجة والمرح فيه بما يمدهما به من شعر الغناء ، بل ولتوجد الوسيلة للتشهير بتلك المجالس ، وليذكر الناس بما فيها من مخالفة للدين ، ولتوضع الأشعار للتنفير منها وممن يرتادها من الناس

ومن أولى بأداء تلك المهمة من أبى العتاهية فهو ساخط على الرشيد بل ساخط على الحياة والأحياء جميعا ، وهو رجل

(١) كان هارون وجعفرا يلبسان فى بعض مجالسهما ثوباً واحداً ذا فتحتين للرقبة

حريص يحب المال ويسعى إليه ولا يبالى بما يركبه من أهوال فى سبيل الحصول عليه ، وهو قبل كل ذلك شاعر مطبوع قادر على قول الشعر فى كل فن وبكل مناسبة . فاتح الفضل أبا العتاهية فى ذلك الأمر ، وأيأسه من هارون ومن عتبة ووعده الحماية من كل سوء أو مكروه يصيبه بسبب إعراضه عن الرشيد وهجره لمجالســـه ، ووعده إلى جانب ذلك مالا كثيراً إن أنصت إليه واستجاب لرجائه . وانضمت زبيدة إلى الفضل ، فهى حريصة على وضع حد لمجالس اللهو والطرب التى كان يجالسها الرشيد لأسباب لا تقل وجاهة عن تلك الأسباب التى حملت الفضل على بغضها والعمل على فضها ، إذ أن تلك المجالس تجمع بين الرشيد والجوارى الحسان من مغنيات وراقصات وعازفات ، وفى ذلك ما فيه من استهواء للرشيد وشغل له عن زوجه وابنة عمه زبيدة

وما إن سمع الشاعر ذلك العرض حتى قرر أن يقف من الرشيد موقفاً حازماً لا تردد فيه ولا هوادة ، فأخبر الرشيد أنه لن يقول شعرا فى الحب مالم يخط خطوة عملية فى شأن تزويجه من عتبة التى تلهمه ذلك الشعر

وتعقد الموقف حين ثارت ثائرة الرشيد .. فأمر بإرسال أبي العتاهية إلى السجن وأقسم ألا يخرجه منه حتى يقول شعرا . وهنا أقسم الشاعر أيضاً أنه لن يتكلم سنة إلا بالقرآن أو بـ لا إله إلا الله ، وتلك حيلة بارعة من الشاعر .. فهو يعطى الخليفة سنة كاملة كى يصحح موقفه فيها فإن رجع لصوابه وزوجه من عتبة عاد إلى حظيرته .. وإن أبى إلا إهمال الشاعر والاستهانة بشأنه انضم إلى معسكر الفضل وزبيدة غير آسف ولا متردد ، ولم ينس الشاعر أن يكتب إلى الخليفة من سجنه بأشعار ذات مغزى واضح ، أنظر إليه وهو يجادل الرشيد جدالا منطقياً ويعجب له كيف يطلب إليه أن يقول شعراً فى الحب وقد حرمه من عتبة التى كانت تلهمه ذلك الشعر :—

وكلفتنى ما حلت بينى وبينه وقلت سأبغى ما تحب وما ترضى
فلو كان لى قلبان كلفت واحداً هواك وكلفت الخلى لما يهوى

ثم انظر إليه وهو يذكر الرشيد بمواعيده التى لا تنقضى إلى غاية : —

يا رشيد الأمر أرشدنى إلى وجه نجحى لا عدمت الرشدا
وابلائى من دعاوى أمل كلما قلت تدانى بعدا
وأمنى بغد بعد غد ينفد العمر ولم أأت غدا

ومضت السنة ولم يستجب الرشيد أو قل لم تستجب عتبة لدعاء الشاعر الذى لم يجد بدا من الانضمام إلى المعسكر الآخر ، متخذاً لنفسه أسلوباً جديداً فى الحياة ، بقى بأغراض زبيدة والفضل ويقضى حاجات فى نفسه هو ، وتلك الحاجات هى التنفيس عن عواطفه المكبوتة ، والتعبير عما يكنه للحياة والأحياء من سخط ونقمة

وبعد فقد بينا هنا ما كان للفضل وزبيدة من أثر فى ذلك الانقلاب الذى طرأ على الشاعر سنة ثمانين ومائة للهجرة ، وسنكشف فى المقال التالى بعون الله تعالى عما لدينا من أدلة تثبت أن اتفاقاً كهذا قد تم بين الفضل وزبيدة من جهة ، وأبى العتاهية من جهة أخرى

دكتور محمد الكفراوى

زينب

ملحمة من الشعر الوجدانى

للشاعر العراقى

الأستاذ

عبد القادر رشيد الناصرى

تزفها المطابع قريباً

تاريخ الحركة العلمية الحديثة في حضرموت

للأستاذ أحمد عوض باوزير

قبل خمسين عاما ، أو أكثر كانت (حضرموت) تعيش في عزلة تامة عن تطورات الثقافة في الأقطار العربية . وكانت دور (الكتاتيب) التي عاشت إلى وقت متأخر جدا هي كل ما هناك من مظاهر الحياة العقلية والعلمية .

ويجوز أن تكون (حضرموت) قد عرفت من مظاهر الحياة العلمية والعقلية غير هذه (الكتاتيب) . إلا أننا لا نستطيع أن نحدد ، من الناحية التاريخية ، معالم تلك الحياة ، أو نتبين آثارها الأدبية . فإن دراسة تاريخ الحياة الأدبية ، والسياسية ، والعقلية في حضرموت ليس من التيسر بحسب وإنما كذلك عمل شائك لا يخلو من المفارقات والملابسات

ونحن لا نريد أن نتبع مذهب (ديكارت) في هذه الدراسة العلمية ، أو مذهب (الشك) كما يسميه الدكتور (طه حسين) ؛ لأننا في فجر هذه النهضة الحديثة نطمع في الظفر بمعلومات أوفى ، عن مظاهر الحياة العقلية ، والعلمية . ولقد سررنا كثيرا ، للفتوحات الجديدة ، في التأليف عن التاريخ العام لحضرموت ، وهي الفتوحات التي بدأها الأستاذ (صلاح عبد القادر البكري) حين أخرج كتابه (تاريخ حضرموت السياسي) وهو تعريف موجز بالحكومات السياسية ، التي تعاقبت على (حضرموت) منذ صدر الإسلام إلى أواخر عهد السلطنات القائمة

أما بعد : فإن (الكتاتيب) التي أثبتنا أنها كل ما بقي لنا من مظاهر الحياة العقلية والعلمية ، فيما قبل الخمسين عاما الماضية لا يفق أن يكون هناك من (النوابغ) من كانت ظروف حياته المعاشية أو أحوال استعداده الفطري قد أعانته على التفوق في العلوم الدينية والعربية ، غير أن هذه (الحالات) الفردية لا يصح أن تكون مرآة صادقة للحياة العقلية والأدبية

والذي يمكن الاطمئنان إليه في معرفة نشأة الحياة العقلية ، في (حضرموت) هو أن ظهور المدرسة القديمة ، أو ما يسمونه (بالجامع العلمي) ، في أوائل القرن الرابع عشر الهجري كان بداية طبيعية لتلك الحياة . وهذه (الجامع) تشبه إلى حد ما في نظام دراستها ، تلك الجوامع القديمة التي كانت منتشرة في حواضر الدولة العباسية

وأشهر هذه (الجامع) التي نريد التنويه بفضلها ، هو (مجمع الشاطري) في سيئون ، ومجمع (ابن سلم) في الغيل ، ومجمع (مشهور) في الشحر . والمجمعين الأولين ، أكثرهما تأثيرا في الحياة العقلية ، وأبعدهما خطرا ، في الحياة الاجتماعية . وإليهما ينتسب أغلبية (المتعلمين) من ذوي الكفاية النادرة ، والإنتاج الرفيع . وقد كان يقوم بتدريس اللغة العربية ، وأصول الشريعة الإسلامية فيهما أساتذة قديرون حذقوا تلك (الاختلافات) في المسائل الفرعية التي امتلأت بها كتب (الحواشي) المطولة و (الشروح) التقريرية

ويكفي للتدليل على أهمية هذه (الجامع العلمية) أن يكون من خريجيها أمثال السيد (ابن هاشم العلوي) والمرحوم الشيخ (عبد الله محمد بن طاهر) والأديب المؤرخ (سعيد عوض باوزير) والسيد (محسن جعفر بوقي) . وغيرهم كثيرون

وهذا لا يمنع أن يكون لدينا من الملاحظات عن هذه (الجامع العلمية) ما يفيد في تصوير الأحوال ، داخل هذه (الجوامع) . وهي ملاحظات استخلصناها أثناء مراجعاتنا للأنظمة التعليمية في المدة الحاضرة ، وأولى هذه (الملاحظات)

هو ما نسميه اليوم (بفوضى المناهج) فالطالب فى هذه (الجامع) لا يمكن أن يتقيد (بالزمن) سواء أكان فى التحاقه، أو فى الأعوام الدراسية أو فى مواعيد حضوره وغيابه

وقد يبدو أن هذه (الملاحظة) ليست على شئ من الأهمية ، أو الخطورة والعكس — فى نظرنا — هو الصحيح . فإن هذه (الفوضى) تكون قد حرمت الكثير ، الفرصة للاستفادة من (المواعيد) ولذلك تضطرهم إلى البقاء داخل هذه (الجوامع) أعواما أطول

وثانى هذه (الملاحظات) أن هذه (الجوامع) تسرف كثيرا فى مناقشة (الآراء) التضاربة أو ما يسمونه بأقوال (الحواشى) وهى أقوال عديمة الفائدة ، تؤثر فى نفسية (الطالب) تأثيرا خطيرا ينتهى به إلى (الفناء) وسط تلك (الحواشى) وبيعده عن الجوهر والعرض

وهناك غيرهما من (الملاحظات) . غير أننا لسنا بصدد الدراسة الخاصة . وفى هذا القدر الذى أثبتناه ما يكفى للتعريف بأحوال (الجامع) ونظام دراستها

وظهرت فى هذه الأثناء (المدرسة الحديثة) وهى تختلف تمام الاختلاف عن نظام الدراسة فى تلك (الجامع العلمية) . وأولى هذه المدارس هى مدرسة (الداغ) فى الكلا . وكان قد دعا إلى تأسيسها السيد (حسين آل الداغ) وهو من الحجازيين الذين فروا على أثر الحملة النجدية الوهابية

وأنشأت (مدرسة الداغ) فى الكلا فرقة للكشافة ، كانت أول فرقة منظمة . كما قد أجازت تعليم (الجغرافيا) و (التاريخ) و (الأشياء) وهى العلوم التى كانت (العامة) تعتقد أنها تفسد الدين ، وتؤذى (الأسلاف) ..

وعلى أثر ارتقاء عظمة السلطان (صالح بن غالب القعيطى) عرش السلطنة القعيطية ، تغيرت الحياة العلمية تغيرا كبيرا . واقترن عهده (الزاهر) بالنهضة الحديثة التى سنأتى على وصفها فى الدهذة التالية : —

وقبل الإفاضة فى الحديث عن مقومات النهضة الحديثة نعود إلى ذكر الحكومات السياسية المعاصرة التى تحكم (حضرموت) . وهى الحكومات التى ترتبط و(الدولة البريطانية) بمعاهدة التحالف والصداقة ، وأكبر هذه الحكومات نفوذا ، وأوسعها رقعة . هى الحكومة (القعيطية) . ويتولى عرش هذه الحكومة ، عظمة السلطان (صالح بن غالب القعيطى) وهو يحكم القطاع الساحلى ، ومناطق أخرى فى البلاد الداخلية ؛ وأشهر مدنها (المكلا) . وهى من الموانى الهامة فى جنوب الجزيرة العربية ، وعاصمة الحكومة القائمة . و (الشحر) وهى المدينة التاريخية القديمة . و (الغيل) وهى من المناطق الزراعية ، ومركز النهضة العلمية الحاضرة . و (شيام) وهى مدينة التجارة

وثانى هذه (الحكومات) هى الدولة الكثيرية . وهى من الحكومات القديمة التى يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثامن الهجرى . ورئيس الحكومة الحالى هو السلطان (حسين بن على بن منصور الكثيرى) و (تريم) و (سيئون) وهما من المراكز العلمية والأدبية فى تاريخ النهضة — يختصان (للحكومة الكثيرية) والأولى من المدن التاريخية القديمة ، والثانية عاصمة الحكومة الحاضرة ، ومهبط الأدباء ، والمؤرخين من المحدثين

وهناك غيرهما من الحكومات . وهو ما نسميه بالحكومة القبلية . ولكن هذه الحكومة آخذة فى الزوال بفضل سياسة دار المستشار البريطانى المقيم التى دأبت على نشر الأمن العام والقضاء على العصاة ، من الخارجين على الحكومتين ، الفعليتين

ولعل من أبرز مقومات النهضة الحديثة ، فى بلدان السلطنة القعيطية ، هو تلك الجهود الصادقة التى يبذلها عظمة السلطان لتشجيع الحركة العلمية والاقتصادية . فقد ظل يتفشاهما برعايته ويتعهدهما بتوجيهه وإرشاده . وكان قد عهد إلى دار المستشار البريطانى ، المقيم فى وضع تقرير شامل لإصلاح التعليم . ووضع هذا التقرير ، عميد معهد التربية بالسودان المستر (قرفت) بدعوة من الحكومة القعيطية . ووكل المستر قرفت إلى الأستاذ

(القدال) تنفيذ تلك المقترحات . وهو من الوطنيين السودانيين والأستاذ القدال هو الذى تولى بعد ذلك ، سكرتارية الدولة القعيطية . بعد أن أمضى عشر سنوات ، فى خدمة التعليم بحضرموت ، وتم فى العشر السنوات الماضية ١٩٣٩ — ١٩٥١ توحيد المنهج العام وترميم المدرسة الوسطى . وإنشاء مدرسة المعلمين والثانوى الأصغر والمعهد الدينى الجديد . ووسعت خزينة الدولة الإنفاق على هذه المشاريع العلمية ، كما استجلبت عددا من الموظفين السودانيين للعمل على تنفيذ توصيات المستر قرفت بشأن تقدم التعليم

وقد تم فى السنوات الخمس الماضية إيفاد المبعوثين من خريجى التعليم الأوسط ، إلى المدارس الثانوية فى مصر ، والسودان ، وسوريا ، والعراق . وقد عاد بعض هؤلاء إلى حضرموت والتحقوا بالمصالح الحكومية فى الدولة

ومن المآثر الطيبة التى خلدها عظمة السلطان ، هو تأسيس المكتبة السلطانية بالمكلا ، وهى من المكتبات الشهيرة ، وتضم من المؤلفات القديمة والحديثة ما يربو على الثلاثة الآلاف فى مختلف الفنون والعلوم

وعلى الرغم من النقص المالى الذى تعانيه خزينة الدولة الكثيرة فإنها لم تقصر فى العناية بالشؤون التعليمية . فقد أنشأت المدرسة السلطانية فى سيئون . وتولى إدارتها على التوالى السيد محمد بن هاشم العلوى والسيد على بن شيخ بافقيه ، وتدرس الحكومة الحاضرة مشروعا جديدا . لإنشاء نظارة للمعارف . وأعربت دار المستشار البريطانى عن استعدادها لتقديم الإعانات المالية لهذا الغرض . ويقوم السيد على بن شيخ بافقيه فى هذه الآونة بدراسة نظام التعليم الحالى فى مدارس الدولة القعيطية ، وهو من المتحمسين للفكرة والداعين إلى الوحدة

وهناك غير هذه المدارس الرسمية فى الحكومتين المدارس الأهلية ، وهى تسير وفق مناهج خاصة ، مقتبسة من مناهج التعليم فى البلاد العربية . ولا يزال التعليم الأهلى يفتقر إلى الجهود الكثيرة ، والإعانات المالية ، ليؤدى رسالته العامة على الوجه الصحيح

ويقترح الأستاذ صلاح عبد القادر البكرى فى كتابه الجديد عن رحلته فى جنوب الجزيرة العربية ، أن يقوم المسئولون ، فى نظارة المعارف على إجراء تعديل شامل ، فى المنهج السودانى ليتمشى والأحوال الطبيعية ، والتربوية فى حضرموت

هذا هو تاريخ الحركة العلمية الحديثة . فى حضرموت . أجملناه فى هذه الصفحات . وهو تعريف بأوجه النشاط العلمى والثقافى فى الخمسين عاما الماضية من تاريخ حضرموت . نرجو أن يفيد فى التعريف ، بهذه البلاد العربية ، التى تسعى حثيثا إلى النهضة والرقى

أحمد عوض باوزير

مختارات من الأدب الفرنسى

شعر ونثر

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

وثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

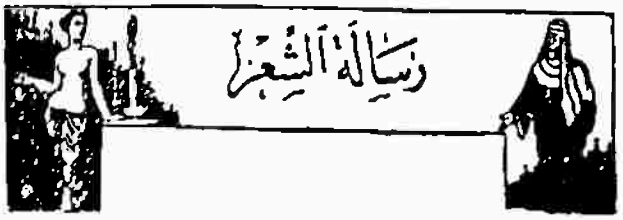

ربيع الشاعر..

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

من أي عهد عتقت نشواتي
ما الخلد، ما روضاته، ما السحر ما
ما العود ما رناته، ما الناي ما
ما الظل، ما أفياؤه، ما النور ما
دنيا من الأنق الملي تنزلت
فإذا الربيع يلفني بصفاته
وإذا حياتي جنة . جل الذي
ينساب فيض العطر بين زهورها
كشاعري رشفت سلاف ربيعها
فهتفت من فرط الهيام وعربدت
أنا من ربيعك يا وجود فلا تدع
علمتني أن الحياة حقيقة
هذا الربيع اليوم لست أحسه
قد كان يعبر بي كآبة واهم
الكون هذا الكون بين مشاعري
إني أحسك يا ربيع بكل ما
فإذا مضيت إلى التراب ولفني
وفقدت كل معالمي ومظاهري
سأرى الحياة هدى وأدرك كنهها
وأعود في قبل الندى لزهوره
وأسير في الدنيا ربيعاً خالداً
من ذاك النشوان يخطر في الربى
تتفجر البيداء من خطواته
من ذاك الفنان ، يبعث روحه
سكر الرحيق وعربدت كأساتي
آياته .. من هذه الآيات
حناته .. من هذه الحنات
لماحه .. من هذه اللمحات
من أفقها السامي لنور حياتي
وألفه بمشاعري وصفاتي !
قد صاغها من سحوة وسبات
كمشاعري تنساب منتشيات
حسناء، كم سكرت من الرشفات
كأسي وجن الخمر من نشواتي
صنو الربيع يهيم في ظلمات !
نحكت فهل علمتني نحكاتي ؟
وهما ، ولكني أحس حياتي
واليوم أعبره وفي صبواتي !
والغيب سر الغيب في خطراتي
يبدو لعيني رائع القسمات
أصلي، وعدت إلى الظلام الماتي
غير انطلاق الروح بعد عماتي
معنى . ويسعد صمتها سكناتي
لأرى الربيع الطلق في سبحاتي
سكب الذي ولى بكأس الآتي
ثملاً، فيسكرها صدى الخطوات
ماء ، وتبت رائع الزهرات
وفؤاده في السهل والربوات
فإذا السراب حقيقة وإذا الصدى
من ذلك الخلاق من أجرى الهوى
فإذا حياتي والربيع جديدة ..
من ذلك المستور راح يهزني
كحقيقة خفيت علي ولم تزل
وأكاد أدركها بقلبي صورة
كالله لست أراه، لكن كل ما
ألقاه في حلمي وفي صحواتي
هو خالق الجنات ، إن صفاته
وترى الحياة كأن روحاً طائراً
تتخطر الأنسام بين رياضها
وتذيبني وأذيبها وأكاد من
هذا ربيع الملهمين فغنني
أنا قد ولدت مع الربيع فلا تحل
الشعر ألف بيننا بفتونه
والشعر ذوب مهجتي بكؤوسه
فتان الإلهام فوق عيونه
يا ومضة من عالم قد أشرقت
يا قبلة تركت على ثغر الربى
يا مهبط الوحي الشرود تدفقت
بانبضة الحيوات في قلب الدنا
يا شاعراً بعث الوجود قصيدة
يا مهجة طهرت فغاض نقاؤها
الله صورنا نقاء طاهراً
وأسال في جنبيك خمر حنانه
فإذا كؤوسك روضة وإذا الطلى
وإذا حياتك فرحة تجتاح ما
تأسو إذا جرح الشقاء وكم سرت
عجبا يكاد الترب ينبت ألسنا
كم مجدب فجرت ميت صخوره
فغدا زماني حانة ندمانها
لحن يفيض بأقدس النغمات
والسحر من أحياجديب حياتي
وإذا ربيعي بالحياة موات !!
هزا ، ويضمر نشوة جنباتي
أسرارها تنساب في خطراتي
كلمات ، وإن هزت على نظراتي
يوحي به يهتز في جنباتي
وأراه في صمتي وفي سجداتي
سطعت ربيعا عاطر الجنات
يهفو بها نشوان في لمحات
كتخطر الأنغام في صدحات
وله القصيد أذوب في أبياتي
شعرا ندى الروح واللفتات
عني وسل إن شئت عنه حياتي
والحب صورنا من الصبوات
وأسال أكؤسه على طرقاتي!
وروائع الأشعار في خطواتي!
جنباته نشوى من الومضات
زهر الحنان وحنة الزهرات
آياته بالوحي منتشيات
قلبي يحبك والهاً النبضات
سجد الوجود لها من اللهفات
سحراً يبث الطهر في المهجات
والله طهرنا من النزوات
وأسال خمرك في مدامع ذاتي !
عطر يضوع بأقدس النفحات
يجتاح نفسي من جوى ودشكات
اسات كفك في الربى حبوات
تشدو الحياة وأهيما ألقات
مهجا تراقص أغصنا ثملات
أنا والربيع، فهات خمرك هات

حسين البشبيشي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عرض محاضرة عن شعر أبو الوفا :

دعينا يوم الخميس الماضي إلى سماع محاضرة للدكتور إبراهيم ناجي بك بجمعية الشبان المسيحية ، عنوانها « سيكولوجية شعر محمود أبو الوفا »

والدكتور ناجي له جولات موفقة في التعليلات والتحليلات النفسية ، والأستاذ محمود أبو الوفا شعره حبيب إلى النفس

لذلك كنا نتوقع أن ينال شعر أبو الوفا عناية العالم النفسي والأديب الكبير إبراهيم ناجي ، ولكنا سمعنا بحثا تسعة وتسعون في المائة منه كلام في تعريف الشاعر والفرق بينه وبين الناثر ، والواحد الباقي من المائة في شعر محمود أبو الوفا .. قد وصل إليه من حيث قال إن الكلمات العادية الجارية على الألسن يتناولها الشاعر فيبعث فيها الحياة ويكسبها إشعاعات يبلغ بها عواطف الجماهير ، وكذلك أبو الوفا

وقام — بعد محاضرة الدكتور ناجي التي ألقاها نائب عنه إذ اعتذر هو من عدم الحضور — الأستاذ حليم دمترى ، فتحدث عن «عنوان النشيد» للأستاذ أبو الوفا حديثا خلط فيه قليلا من الكلام على هذا النشيد وكثيرا من الكلام الذي يقصد به الدلالة على غزارة العلم وسعة الاطلاع ! ثم ألقى النشيد كله وهو نحو ثلاثمائة بيت ، وقطعا أخرى للشاعر ، حتى استغرق ذلك نحو ساعة أمل فيها كل الإملال ، لا بالشعر نفسه بل بما صنع في إلقائه .. ويظهر أن الأستاذ دمترى لم يعرن لسانه على النطق الفصيح وبخاصة نطق الشعر ، وقد حطم الأوزان تحطيم الأصنام ..

والعجيب أن الأستاذ دمترى طرق موضوع التحرر من الأديان التي يراها قيودا عائقة في الحياة . على أساس فهم غريب للأبيات الآتية ، وهي من « عنوان النشيد » حيث قال أبو الوفا في حوار بينه وبين الروح التي يستلهمها :

قلت : قل لي يا أخا الروح الرفيعه
ما لزوم الدين أو أي شريعه
لنفوس الناس ما دامت رفيعه
حين أن النفس مذ كانت ولوعه
بالتسامي والتعالي بالطبيعه ؟
قال : لما لا ترى النفس الوضيعه
ثم ، أخلوا الأرض من كل شريعه
إنما ، والنفس ما زالت رضيعه
من أب سوء ، ومن أم وضيعه
كيف تركك الدين أو تلقى الشريعه

إلى أن قال :

إنما الأديان آداب رفيعه
وهي تفسير جميل للطبيعه

فهم السيد دمترى من هذه الأبيات ومن مثيلات لها في « عنوان النشيد » أن الشاعر يدعو إلى نبذ الأديان ! وما كنت أظن أن مثله يحتاج إلى أن أقول له إن الشاعر يقول : إذا كنت لا ترى في هذه الدنيا نفسا وضيعة وكان إنسانها كاملا فلا مقتضى للدين والشريعة ، ولكن الناس هم كما نراهم في ضعفهم ودنايام ، فكيف نستغني عن الأديان ذات الآداب الرفيعة وهي تفسير جميل للطبيعة ..؟

ولم يكن لائقا من السيد دمترى أن يصول ويجول في ميدان « اللادين » وهو يتكلم في جمعية دينية !

وعلى وهم أن دمترى قرأ « عنوان النشيد » كله ، وفيه قول الشاعر بعد أن عرض حال العالم وما هي عليه من شر ونزاع :

ولئن تسألهم : فيم الخصام ؟
لأجابوا هو من أجل السلام !
قل لهم : يا قومنا أي سلام !

ليس بين العقل والقلب انسجام ذي هي المسألة لا سوء النظام

على رغم ذلك قال ديكارت إن الشاعر يؤمن بأن العقل وحده هو الذي ينبغي أن يسود ! !

وقد عقب الأستاذ محمد قطب على ذلك ، فاستدل بتلك الأبيات وبقول الشاعر أيضا :

لا أرى الإيمان تشريعا وكتبا
بل أرى الإيمان وجدانا وقلبا

على أن شاعرنا يؤمن بالقلب وبالعقل ، فهو يرى أن الدول الكبيرة التي تتحكم في العالم اليوم لا ينقصها العقل ، ومع هذا نراها تحدث في العالم الشر والفكر والعقل لديها متوافر ! فالشاعر يدعو إلى مشاعر إنسانية تطهر هذا العالم الذي يتخاصم من أجل السلام

الحياة الفكرية في مصر الحديثة

أشرت في الأسبوع الماضي إلى المحاضرة التي ألقاها الدكتور محمد كامل حسين في حفلة استقباله عضوا جديدا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية واعدا بخلاصتها في هذا الأسبوع ، وهذه هي الخلاصة :

تحدث عن سلفه في عضوية المجمع أحمد حافظ عوض ، فكان مما قاله : أنه نشأ في عصر لا يعد خير عصور الحياة الفكرية في مصر ، وآثاره الأدبية لا تخلو من صفات ذلك العهد، ولا يعد هذا عيبا ، فحسب المرء أن يكون آثاره في ميدان الفكر صورة صادقة واضحة للعصر الذي يعيش فيه ، وكذلك كانت آثار سلفي ، ففيها تخبط الذين يلتمسون أسلوبا جديدا وتمثر الذين يتحسسون منهجا غير مألوف ، ولا أكتمكم أني أحب كثيرا من هذا التخبط وذلك التمثر ، بل بعضه أحب إلى نفسي من الكمال الفني ، وإني لأجد سقارة أحب إلى من وادي الملوك ، ولأقدم الشعر عندي خير من شعر أبي تمام ، وإن كنا لا نعرف للشعر العربي دور تمثر ولا طور بداءة ، كأنما هو قد انبعث من رمال الصحراء أتم ما يكون جمالا ، كما خرجت « فينوس » من أمواج البحر ، والصورة القديمة أشهى إلى نفسي من روائع « روفائيل » كأن الكمال الفني يشعرني قرب النهاية وضعف الشيخوخة

ثم تحدث عن الحياة الفكرية في مصر الحديثة فقال : إني ممن لا يزالون يؤمنون بالفكر المحض وأثره في الحياة العامة . وأكثر الناس على أن الحياة الحديثة شغلتنا عنه بما هو أقرب منالا وأسرع جزاء ، وأن المحدثين يفضلون العمل على الفكر ، وأن الغلبة اليوم لما سميناه الماديات . وأننا فقدنا الإيمان وهجرنا الأخلاق واختلط علينا الخير والشر ، ولا أريد دفاعا عن المحدثين ، ولكني أقول إن هذه آراء لا تصدق إلا على ظاهر الأمور ، وأصل الخطأ فيها ما طرأ من تغير على

كشكول الأسبوع

▫ « إن جمال الكلام هو الذي يعين على جمال النغم ، ولا يكون الغناء شيئا حتى يكون المعنى طريفا والصياغة حلوة ، ولا يجود الملحنين حتى يكون مولم الكلمة في التأليف إلى جوار أختها مرضيا مصوغا بحكمة »

هذه فقرة من حكم أصدره القاضي الأديب الأستاذ محمود عبد اللطيف في قضية أقامها الأستاذ الأسمر ضد محطة الإذاعة والآنسة أم كلثوم مطالبا بتعويض فيما تدفعه الإذاعة لغناء كل مرة تغنى فيها أغنية من تأليفه . وكان الحكم باقرار حق المؤلف

▫ جاء من باريس أن الاتحاد الفرنسي المصري لجوائز الأدبية السنوية قرر منح جائزة واصف غالي باشا للسيدة الأديبة قوت القلوب الدمرداشية لروايتها « الخزانة الهندية » التي تقدمت بها إلى المسابقة

▫ قررت جامعة الدول العربية إيفاد الدكتور علي سامي النشار المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق ، إلى ألمانيا والدانمرك وهولندا وانجلترا ، لفحص المخطوطات العربية هناك والعمل على تصوير المهم منها

▫ جاء في قرارات مؤتمر الشعوب الإسلامية الذي عقد أخيرا في كراتشي — ما يلي :

« الحث على تدريس لغة القرآن الشعوب الإسلامية لأنها لغة دينهم ويتحتم على كل مسلم أن يلم بها »

▫ تقرر أن يشغل متحف الفن الإسلامي الذي كان يعرف من قبل باسم « دار الآثار العربية » — المبنى الحالي لدار الكتب المصرية ، على أن تنتقل هذه الدار إلى مبنى خاص يشيد لها ، ولم يقع الاختيار إلى الآن على المواقع الذي يبنى فيه

▫ وعدنا في الأسبوع الماضي بالكتابة عن العدد الأول من « مجلة الأزهر » في عهدها الجديد ، ولكن لم يتسع الوقت في هذا الأسبوع لما هي جديرة به من إنعام النظر وتمام الاستيعاب . وموعدنا لذلك الأسبوع القادم إن شاء الله

مكان الفكر من حياة الناس وعلى الصورة التي تتمثل فيها الأخلاق . إلى أن قال : والناس في عصرنا هذا لم يفقدوا الإيمان وإنما شكوا فيما يؤمنون به ، ولم ينكروا الأخلاق وإنما التمسوا لها وجوها غير التي اصطلح عليها القدماء ، ولم يهجروا الكثير من الفضائل الفردية التي عكف عليها الأولون إلا ليستبدلوا بها فضائل اجتماعية ذهبوا إلى أنها لا تقل فضلا

ثم عرض للاتجاه إلى المدنية الغربية ، فقال إذا كانت المدنيات كلها قد وات وجهها شطر المدنية الغربية فإن ذلك ليس إعجابا بها أو خضوعا لقوتها ، بل يرجع إلى أن طبيعة التفكير البشري في جوهرها واحدة ، وأن كل ثقافة لا يقف بها النمو ستجد نفسها تسير على نهج يؤدي بها إلى ما يشبه المدنية الغربية

ثم قال : وكان أول ما اتصلت الأسباب بيننا وبين التفكير الغربي تلك المؤلفات التي كتبت في خلال القرن التاسع عشر بسيرة هينة التفكير بسيطة الأسلوب رقيقة المعنى ، فيها ظرف وإعجاب يشبه إعجاب المراهقين بالكبار ، ثم تبين بعد قليل أن السير بطيء لن نبلغ به ما نبغي بعد أن سبقنا الغربيون بقرون ، فهرولنا وأخذنا نجرع من الحضارة الغربية جرعا قويا روى به ظمأ شديدا ، وأهل البدو — وهم أعلم الناس بالظمأ — يقولون : الجرع أروى والرشيف أنقع . ونحن لا نزال نفضل الري على النقع ، ولا يزال فينا أثر الهرولة التي أرغمنا عليها إرغاما

وذكر صفات للتفكير عندنا ، فعد منها الهرولة وأتى ببعض مظاهرها ، ثم قال : ومن تلك الصفات الكلاسيكية المبكرة ، والكلاسيكية تعني في العادة المحافظة على أسلوب خاص من حيث الشكل وحده ، ذلك أن كل تفكير صادق أو فن جديد ينشأ معه أسلوب في التعبير خاص به ، ثم لا يزال ينمو حتى يبلغ درجة من الكمال يعترف بها الناس ، حتى إذا نفد ما في هذا التفكير أو الفن من قوة بقي الشكل يرجى لذاته

إلى أن قال : وعلينا أن نقتل الفصاحة فينا فهي شكل محض ، وأن نتجاهل البلاغة فقد أصابنا منها شر كثير ، وألا نضع للأسلوب قواعد لجماله فالقاعدة الوحيدة للجمال هي أن يكون الشيء جميلا . ثم قال : وأول ما يجب علينا عمله أن نترك وراءنا طهريا كل ما حملنا عليه من هرولة وتمويه ، وانقلع عن المجاراة والاحتذاء ، فقد بلغنا من الحياة الفكرية مبلغا يستحيل معه الفكوص إذا تركنا أنفسنا على سجيتها . وأهم ما يجب أن نعنى به هو العلم بالعربية ؛ فإن أحدا لا يستطيع أن يأتي بعمل ذي خطر إلا أن يكون ذلك بلغته ، والذين لا يملكون ناصيتها يظلون حيارى لا يقدرون على شيء من الأدب الرفيع

تعقيب :

وبعد فإن التأمل في تلك المحاضرة القيمة يراها — على قيمتها وما حوته من آراء ناضجة وأفكار طريفة وعلى سياقها الجميل — لم تخل من « الهرولة » وهذا طبيعي ، لأنها جزء من الإنتاج الفكري الحديث الذي قال الدكتور كامل حسين إن من صفاته الهرولة ..

وبيان ذلك في الأسبوع القادم إن شاء الله

عباس خضر

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمي الواقعي

لشاعر فرنسا الخالد

* لامرتين *

ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

مذكرات واعظ أسير

تأليف الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي

للأستاذ كامل السيد شاهين

ما كان لمحنة الإخوان المسلمين أن تمر بغير تسجيل، وما كان لهذا العسف الوبيل الذي نالهم أن يذهب دون أن يدفع هؤلاء الذين بطشوا بهم دفعاً بليغاً !.

وهذا الكتاب الذي أخرجه لنا الشيخ الشرباصي، وإن كان مذكرات؛ والمذكرات عادة تبرز فيها الذاتية، وتختفي الجماعية، إلا أنها ليست مذكرات في أيام طبيعية، بل في أيام عصيبة شاذة، مفرطة في الحلوكة والشذوذ — ومن ثم كانت تدور مع شخص كاتبها على الأحداث العامة والأوضاع المنحرفة، وكانت عين صاحبها يقظى لا يفوتها فائت، وكانت نفسه مرهفة لا تمر بها الحوادث دون أن تتردد فيها، وتعترج بها، ثم تحكم عليها الحكم الذي تراءى له

لقد كان قلم الشرباصي في هذه المذكرات مصوراً. فهو يصور الحجز الكريه وما يجد المحجوز فيه من كرب عظام، وما تقاسي فيه الإنسانية من ذلة وامتهان، وما يسمع البرءاء فيه من دروس تخلق روح الإجرام وتغري بالفساد. وهو يصور جماعة (البوليس) مثة لا يعوز بها البرئ فتحميه، ويستجير بها الخائف فتجيره، ولكنها أداة صماء مسيرة يحركها الباطن كيفما شاء. فئة لا تفهم من القانون إلا أنه الفرصة السانحة للكذب والاستملاء المقيت والاستبداد بالمجرم والبرئ على السواء. وفوق أنها مفتوحة بمكانها، مجنونة بطنواها — تجدها تتطامن للرشوة، وتباع ذمتها بالمال، وتلفق وتزور، وتداجي وتنافق. لقد حدثنا عنهم الأستاذ حديثاً منثوراً: حدثنا حديثهم في التفتيش، وحديثهم في القسم، وحديثهم في الطريق إلى المعتقل، وحديثهم في المعتقل نفسه. فمن كان باخعاً نفسه أسفاً على شئ فعلى وضع هؤلاء موضع الصيانة والحفظ، والتحكم في مصائر الناس فليفعل !.

وهو يصور لنا الاضطهاد المرير الذي يلقاه المعتقلون: من تأخير الطعام، ومنع الزائرين، وتكويم الفضلات يفرخ فيها الذباب الجسور، وأذى خاص للذين يكبرون ربهم، أو يؤدون للصلاة، أو يعكفون على القرآن وكتب الحديث، أو يخطبون الجمعة، أو يوقظون إخوانهم ليجتمعوا على أداء حق ربهم !

وهو يصور لنا في سخرية أولئك المنطمين من المثقفين الذين يثيرون الناس ليظاهروا بمظهر الغيرة الدينية، أو يحاولون أن يثبتوا تدينهم بشتم الذين تقعد بهم أعذار قاهرة عن القيام الباكر لصلاة الفجر، وأولئك الذين يجلسون مجالس الفتيا وبضاعتهم كلمة من شيخ أو خطبة من واعظ أو فتوى من عالم. وما أكثر ما نجد هؤلاء، وما أكثر ما نجد منهم، وما أكثر ما يجنون على أنفسهم وعلى غيرهم وعلى دينهم أيضاً

وهو يصور لنا أقاصي اليهود، يتمتعون في معتقلاتهم ويسمرون ويشربون ويقيمون الحفلات راقصة معربدة، وهم في حفارة رجال الأمن، وربما أشركوهم معهم في الطرب والفجور. فأما الإخوان المسلمون، فتصادر حرياتهم، وتقطع على ظهورهم بطون السياط، ويذهب بهم إلى الطور صاغرين واجمين، ويوقفون صفوفاً أمام شرطي صغير يأمرهم وينهاهم فلا يردون له أمراً، ولا يخالفون له نهياً، وترد إليهم مصونات وإعانات من أهليهم فلا يصل إليها أيديهم

وأبشع ما يطالعك من هذه الصور هذا الذي يشيع في الكتاب كله، من فوضى القسارة التي يلاقيها المعتقلون، فكل أحد يستطيع أن يغيظهم وأن يسطو بهم وأن يتحكم فيهم: متعهد الطعام، ومندوب الصحة، وقومندان المعتقل، وحراس الأبواب، وكل من اتصل بهم بسبب قريب أو بعيد

والعجيب أن يتألى هؤلاء جميعاً على النكاية بهذه الصفوة المختارة، فإن دل ذلك على شئ فعلى تغلغل روح الفساد والانهيار في طبقات الأمة دون استثناء. وأعجب من هذا أن تكون الأحكام العرفية — في بعض الأحيان — أداة خلاق الفتنة، ورد الأيدي في الأفواه، والجريمة الكبرى أن يدعى البطشة الفجرة

أن بثيهم وعدوهم إنما هو استجابة لرغبة كريمة . فلعمري ذلك اللؤم المضاعف !

الصور لا تنتهي .. فأينما رميت ببصرك في هذا الكتاب طالعتك صورة معتمة مؤلمة . وأنت بين ذلك واجد صوراً مشرقة وضيئة في صور التعاون والتضامن التي تخلقه المشاركة الوجدانية في المحن الرازئة ، وصور الإبداع والاختراع التي تظهره الحاجة الملحة ، وصور الصفاء الروحي والمراقبة التي يدافع إليها العجز المطلق وضيق الحيلة والأمل في القوة الغالبة التي تمنو لها القوى جميعاً ، وصور الحنين إلى الحرية التي يوحي بها الأسر الظالم والبطش الغاشم . وصوراً أخرى لا يبلغها الاحصاء وكلها واضحة ناطقة أبلغ النطق ، صادقة أنصع الصدق ، مؤثرة أبعد التأثير !

وفي الكتاب على ذلك مآخذ لولا أن الأستاذ صديق عاقل لأعفيناه من الخوض فيها . مآخذ لا تشين الكتاب ، ولو أنها تورث هذه الصور كلها من بعض الجوانب . . فالأستاذ حريص الحرص كله على أن يذكر دائماً بأنه رجل خطيب وأن له جهوداً ملحوظة في نشر الدعوة ، وأن له أتباعاً وأحباء .. وشهد الله أن ذلك صدق خالص ، ولكن الكريه فيه أن يكون حديثاً على لسان صاحبه وبقلمه ، وقبيح بمثل الأستاذ أن يذكر بذلك ويكرره حتى يجد القارئ في نفسه استكراهاً ومللاً من معاودته ، وأخشى أن أقول إنه ربما أفضى به هذا الإلحاح العنيف إلى إصغار الكاتب والتهوين من أمره ، ومثل هذا العيب جار في كتب كثيرة للأستاذ ؛ نرجو أن يبرأ منه في كتاباته المقبلة إن شاء الله

وأحسب أن من ذلك ما ذيل به كتابه من تقريظ مهما يقل فيه ، فهو غال غلوا شديداً ليس من السداد إتيانه ، وليس هو بالأثر الأدبي حتى يغتفر للأستاذ وصله بكتابه النافع ، فسائر هذه التقريظات غاية في التفاهة والتفاهة ، ومن ذا الذي يكتب كتاباً أو مذكرة ثم لا يجد من طلبته — وهم كثر — من يقرظه بمثل قول (الشاعر) فيما يقول الأستاذ للمؤلف : —

ألقاب فيك متيم لبضائكم وكفاحكم للحق والإخلاص
أهلا بمطلبك السعيد عزيزنا أهلا فضيلة (أحمد الشرباصي)!

لا أظن أني أقف الأستاذ على جديد إن أنا زعمت له أن ذلك شين عائب لكتابه هذا . ولا أظن أنني أذكر منه ناسيا ، إن أنا لفته إلى أن الكتاب حق القارئ ، وليس حقا له حتى يشجع صغار تلاميذه على حساب القراء !

تلك هفوة .. وأخرى أن الأستاذ ربما ظن أنه وقف موقفا كريما بدفاعه عن الأزهر . وشر ما فعل بهذا الدفاع الذي لا يرمى الحق . فالإخوان يقومون بلب اللباب من رسالة الأزهر . ومجاهدة الأزهر كادت تلفها الأنفاس لولا هبة الإخوان . فإذا لم يرفع الأزهر صوتا بالاحتجاج ، ولم يستطع إظهار غضبته من أن يكون التدين سبة وداعية للاضطهاد والعسف .. فإنه من الخسة والدنية أن يسخر الأزهر وعاظه في أن ينالوا من الإخوان ويحكموا قيود البطش .. ألا إنه قليل الأزهر أن يلام ، وقليل لرجاله أن يتهموا بالخور والضعف والتدليس وحب الدنيا .. وإذا كانت قاتمة في النكر ما هي ، فإنه لأنكر منها أن يدافع عنها ويوقف إلى جانبها

وآخر ما آخذه على الأستاذ هفوة أدبية — ولو أنها ليست في موضوع الكتاب إلا أنها جاءت متصلة بموضوعه :

فالأستاذ يرى أن المتنبي كان مرغما على مدح كافور الإخشيد .. ولست أدري ماذا أرغمه ، ولم جاء إلى مصر إن لم يكن قصده المديح .. المتنبي رجل مداح لا أقل ولا أكثر . فإن ذهب إلى الشام فلمدح أمرائه قصد ، وإن جاء إلى مصر فلمدح حاكمها أراد ، وإن رحل إلى العراق وفارس فلهذه الغاية رحل ، فهل مثله يقال فيه إنه أرغم على مدح كافور ؟ ..

ويحدث عن كافور أنه كان عبدا بليدا .. فأما العبودية فليست مما يعاب به الإنسان كإنسان ولا يسب بها من ربي تربية بريئة من روح الجاهلية ، وأما البلادة .. فالحكم بها على كافور أمر يدعو إلى الضحك الذي تمسك منه البطون ، فأين وجدها الشرباصي ، وكيف ألصقها بهذا الحاكم الذكي الداهية .. لقد هجا المتنبي كافورا بما لم يسمع بمثله فلم يقل قط أنه كان غبيا ، وعندما تهيأ لمدحه لم يجد أفقا أوسع للكلام من أفق ذكائه ودهائه :

مجربا فهما من قبل تجربة مهذبا كرما من غير تهذيب
حتى أصاب من الدنيا نهايتها وهمة في ابتداءات وتشبيب

يدير الملك من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الشام فالنوب

ويقول الشرباصي إن الناس كانوا يسخرون منه عند ما يلقبونه (مولانا الأستاذ)، والذي يظهر لي أن الأستاذ (أحمد لا كافور) لا يعلم أن كافورا كان قبل توليته الملك، يدير بيت الإخشيد.. وأن كلمة أستاذ كلمة فارسية من معانيها (المدبر).. فهذا لقبه؛ فهل — بعد ذلك — يكون من السخرية أن ينادى المرء بلقبه

ويستدل الشيخ الشرباصي على غبائه وقلة فهمه بأن المتنبي كان يذمه ويهزأ به وهو لا يفهم، وآية ذلك عنده أنه قال فيه: —

وما طربي لما رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

والبيت — في الحق — محتمل للسخرية، محتمل المدح، ولو سيق المدح كان ضعيفا.. ورأيي أن المتنبي لم يقصد إلا المدح، وأن هذا من ضيق باعه لا من سوء قصده، ودليلي على ذلك عتيد.. دليلي من القصيدة نفسها، وشاهدي في سوابق هذا البيت ولواحقه.. قبل هذا البيت أبيات فيها رجاء ضارع، وخنوع ذليل، والتماس رضيع، وسؤال ملحف. أفيكون من المعقول أن يقف الإنسان موقفا يمرغ فيه حر وجهه في التراب ثم يكون ساخرا في الوقت نفسه؟ لا: إسمع إذن وتصور أبا الطيب: —

أبا المسك، هل في الكأس فضل أناله

فإني أغني منذ حين وتشرب

وهبت على مقدار كفي زمانتا ونفسي على مقدار كفيك تطلب

إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

أفهذا قول ساخر؟ أيتفق أن يكون المتنبي في هذه الذلة الذليلة ثم يقول ساخرا من كافور إنني لما رأيتك شاع في نفسي السرور فأنت مما يتعلى ويتباهى به الناس؟ أما إنه لو جاء هذا البيت فريدا مسلوخا من سوابقه ولواحقه لكان سخرية خالصة! ولحق لابن جني أن يقول المتنبي: ما زدت على أن جعلت الرجل (أبازنة) يعني قردا!. وإني أحيل الأستاذ إلى ما كتبه الدكتور طه حسين في كتابه (مع المتنبي) عن هذه الأبيات ليرى إن كان المتنبي ساخرا حقا.. وأن حاله كانت تستحق أحر الرثاء!

فأما قصيدته التي يزعم الأستاذ الشرباصي مناسبة لتأولة النحاة أنها جائية على التوجيه محتملة المديح والهجاء التي أولها:

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

فإنما يذهب بها مذهب الاحتمال أو التحميل أولئك الذين يتحاذقون بقدرتهم على التأويل والتخريج، فأما أحرار الأدباء والنقاد فليسوا من هذه الدعوى في شيء.. فلا يتم للأستاذ مازعم أنه كان يمدح كافورا بهذه الوجهات إلا إن كان من عشاق التأويلات العقيمة التي لا وزن لها في شرعة الأدب الصحيح!.

— وأعجب مما رأيت أن يقول لنا الشيخ الشرباصي أن المتنبي في هذه النونية مدح شبيبا مدحا بليغا في حضرة عدوه وقاتله كافور، وهذا أمر نوافقه عليه، ثم قال إن هذا المدح البليغ كان من المتنبي استجابة لدواعي الرجولة والبطولة، وهذا ما نراه فيه قد سقط، وإليك أولا الأبيات:

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على الملات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يماني

وما كان إلا النار في كل موضع تثير غبارا في مكان دخان

فنال حياة يشتهيها عدوه وموتا يشهي الموت كل جبان

وقد قتل الأعداء حتى قتلته بأضعف قرن في أذل مكان

اهتز الشيخ أحمد كما يقول اهتزازا عنيفا لهذا الموقف، ففيه — على ما يدعي — جرأة وشجاعة، وفيه صدع بكلمة الحق لوجه الحق، وهو — أي الشيخ أحمد — رجل مولع بعظائم الأعمال فيما قال أو كما قال!

يا لك من رجل طيب القلب، ماذا كنت تنتظر من المتنبي في مدح كافور بعد قتل شبيب؟ أكنت تنتظر أن يقول له: لقد قتلت شبيبا الجبان الخوار الذي كان يفرق من قتل دجاجة!.. لو قال ذلك لكان أجهل الناس بأسلوب المديح، ولكان قتل شبيب عملا نافيا ساقطا لا وزن له.. ولكان المتنبي لم يأت في مدح كافور بشيء.. ولكن المتنبي عمد إلى رغم شبيب وإعظام شأنه، والإشادة ببطولته، ونصب حوله هذه القلاع المحصنات فجعله صديقا للسيف، وأبرزه نارا مجتاحة لا تثير الدخان ولكنها تثير الرماد.. ثم تهيأ له بعد أن جعله أمنع من بيض الأنوق أن يقول

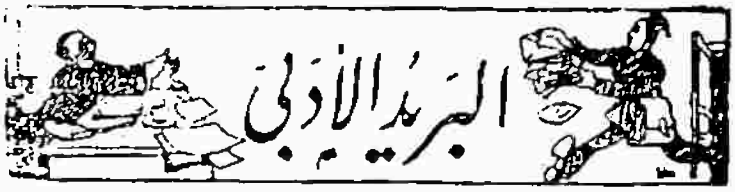

سلسلة رسائل الإمام الغزالي

وقعت في يدي خلال الأيام القريبة السابقة رسالة صغيرة عنوانها « التوبة بعد الذنب للامام الغزالي رضي الله عنه » وفي مقدمتها كتب الناشر أنه يقدم رسائل الإمام الغزالي التي تقع في حوالي ثلاثين رسالة ، وأنه قد عثر على الأصل مخطوطا في مكتبة قرطجنة بإسبانيا بعد أن تحمل في الحصول عليها مشقة كبيرة ..

وما إن قرأت هذا الكلام حتى أخذ مني العجب مأخذا ، فما كنت أعتقد أن الاستخفاف بالأمانة العلمية يحدو بإنسان كائنا من كان أن يعبث بعلم رجل كالإمام الغزالي ، ويقدم للناس منه زادا غثا ، وقدرا ركيكا مضطربا ، مدعيا أن هذا وذاك بضاعة الإمام الحجة ، ومدعيا مرة أخرى أنه عثر عليها في مخطوطات بمكتبة قرطجنة في إسبانيا . بعد أن تحمل في سبيل الحصول عليها مشقة كبرى ..

ولست أدري ما الذي يحمله على أن يتحمل مشاق السفر إلى إسبانيا ، ويتكبد النفقات الباهظة وغيرها ، ورسالته الأولى هذه موجودة في الجزء الرابع من كتاب إحياء علوم الدين للامام الغزالي ، وقد كان في استطاعته وهو في بيته أن ينقل منه رسالته المزعومة ، دون أن يضطره الإبهام والتغرير إلى التحوير والتغيير والعبث بالمقدسات العلمية ..؟

اتخذ الناشر المصطنع عناوين لرسالته المزعومة ، هي نفس العناوين الموجودة في الجزء الرابع من إحياء علوم الدين ومن كتاب التوبة وهو الأول من ربع المنجيات ، مع التحوير والتبديل ، فالعنوان الأول في رسالته هو « حقيقة التوبة » وفي كتاب الإحياء الطبعة البهائية « بيان حقيقة التوبة وحدها » ص ٣ ، وعنوان الرسالة الثاني « بيان وجوب التوبة وفضلها » وفي الإحياء نفس العنوان ص ٤ ، وعنوان الرسالة الثالث « وجوب التوبة على الفور وعلى الدوام » وفي الإحياء « بيان أن وجوب التوبة على الفور » ص ٧ ، وعنوان الرسالة الرابع « بيان أن التوبة الصحيحة مقبولة » وفي الإحياء « بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة » ص (١١) ، وعنوان الرسالة الخامس « بيان ما تكون عنه التوبة وهي الذنوب » وفي الإحياء « الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها » ص ١٤ ، وعنوانها السادس « انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر » وفي الإحياء « بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد » ص ١٤ ... وهكذا ...

ولم يستطع الناشر المصطنع أن يجعل رسالته خاصة بموضوع التوبة ، فتراه قد ألحق به موضوعا آخر هو موضوع الصبر والشكر ، وكما عاث فسادا في نقل باب التوبة عاث فسادا أيضا في نقل باب الصبر والشكر ، وكأنه يلهو في ميدان لا فرسان فيه ، والغريب أن الناشر المصطنع لم يتحر ذرة من الأمانة في النقل مما جعل علم الإمام الحجة ركيكا مضطربا يسيء إلى قدره ، ويظهر أن مهمته كانت قاصرة على التجارة الهزيلة ولو على حساب الأمة من العلماء ..

وبعد ... فمتى توجد الرقابة القوية التي تعمل على صون المقدسات العلمية ، وتضرب بيد من حديد على أيدي العابثين بها .. حتى يبقى للعلم جلاله وقدسيته ؟!

محمد عبد الله السمان

حول معنى « الأساطير »

انشرح صدري ليقظة الأستاذ « سلامة خاطر » الناقدة

إن كافورا ساده بأيسر سلاح وبأدنى جهد ، فجعل كافورا بطلا أقوى وأعز وأمنع ، وعاد بهذا اللباس الذي حاكه بديالكتيب ، فألبسه لكافور (بعد أن عزله ومنعه) زاهيا سابغا ! وبعد :

فقد قدمت أن هذا ليس من موضوع الكتاب ، وأملي أن يعير المؤلفون من النقد الاجتماعي في هذا السير الحميد الذي سلكه الشاعر . وإنني أعد هذا بدء الطريق للوصول إلى سلامة المجتمع ونظافته

فاضل السباعي

حينما قرأت ما كتبه في عدد الرسالة (٩٨٤ ص ٥٤٢) نافيا عن القرآن الأساطير ، راجيا أن يكون الأستاذ توفيق الحكيم في إتيانها بالقرآن راميا إلى معنى آخر غير المعنى المفهوم من الأساطير

والحق الذي ينصره البحث العلمي الدقيق في منهجه الحديث هو أن الكلمات والعبارات تختلف مدلولاتها باختلاف الزمن وتطوره ، فإذا أراد أديب أن يكتب أو يبحث فليجعل في حسابه فرق الزمن في تطور مدلول العبارة أو الكلمة

وهذا أمر تدعو الحكمة « الحكيم » في كتابه « فن الأدب » أن يلحظ قدسية القرآن ، فينزهه عن الشبهة ، بل هذا خطأ منهجي يقتضيه أن نلحظ ما عناه القرآن الكريم نفسه من كلمة « أساطير » وأن ننوه عن حياة هذه الكلمة في مدارج التاريخ

إن القرآن يريد بالأساطير في جميع آياته التي حكى بها شبهة المنكرين الصادين عن سبيل الله — يريد بها : الخرافات والأباطيل ، والكذب والأضاليل . وجل القرآن أن يوصف بشيء من ذلك ملبس فيه أساطير ، وإذا أراد كاتب أن يصف قصصه فليتزل عند إصطلاح القرآن حتى يكون صادقا في التعبير عنه ، معطيا للحق المنهجي قسطه كاملا غير منقوص ، مراعيا روح عصر التنزيل . لقد سمى القرآن الأساطير لهو الحديث في سورة لقمان : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ، ويتخذها هزوا »

وقد نهى الصحابة عن التعلق بها . فقد ذكر المفسرون أن بعضهم كان يقرأ في « اسفنديار » فأنزل الله الآية : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » (سورة العنكبوت)

فإذا تحدثنا عن الفهم الصحيح لأي كلمة فلنتبع الطريقة التاريخية في الدرس ، وبذلك نرتفع في بحوثنا الأدبية والعلمية فوق الشبهات . إن كل كلمة من الكلمات (الرأي — التحريم — الكراهة — القياس) قد تباين مدلولها على مر الزمن في تاريخ الحياة الفقهية ، عرف ذلك من عرف مبادئها

وإن كل كلمة من الكلمات (الإعراب — النحو — الرفع — النصب — الجزم ...) قد اختلف مدلولها في مدارج الزمن في حياة « النحو العربي » سبر غوره من مرن على « فقاقه [1] »

وإن كل كلمة من الكلمات (أدب — علم — فن) قد تباعد مدلولها القديم عن مدلولها الحديث في حياة العلوم والفنون ، وإنه لا يتسنى لباحث في أية مادة علمية أو فنية أن يكون دقيقا إلا إذا رعى هذا التطور التاريخي لمدلول الكلمات فيما يكتب أو يحرر

فإذا قصد « الحكيم » بالأساطير معناها الفني المعاصر أو معناها القديم الغابر ، فإنه — عندي — على كل حال ملوم

إن قصص القرآن حق : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق » (سورة البقرة) — وهو فكرة : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (سورة الأعراف) — وهو عبرة : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . (آخر يوسف)

وهو بذلك تثبيت لأفئدة المؤمنين

فكيف تلتقي قصصه — وتلك حالته — بالأساطير ! ؟

اللهم غفرا

محمد اسماعيل السلبي

دار العلوم

سرني دفاع الأديب اللبيب محمود محمد سالم عن دار العلوم مع أنها لم تكن متهمة ولا مظلومة في كلمتي عن شعراء الشباب بالعدد الأسبق من الرسالة ، وأنا أقر الأديب على رأيه الصحيح في الشعر والشعراء ، وأشكره على ثنائه العاطر ، ولكن الشيء الوحيد الذي أخالفه فيه ، هو أن في الاستطاعة أن يحصى الناقد خمسة عشر شاعرا من أبناء دار العلوم أيام أن كانت مدرسة ، أما بعد أن صارت كلية جامعية ، فهل يستطيع أحد أن يحصي لنا شاعرا أو اثنين ؟ مع الاعتراف الكامل بمستوى دار العلوم الأدبي الرفيع في كلا العهدين

احمد احمد العجمي

(١) « القاقلة » كلمة تطلق على الحوار العلمي « فإن قيل .. قلنا .. »

هيكل عظمى

لفيلسوف الهند وشاعرها رابندرانات

كان فى الغرفة المجاورة لغرفة نوم الأطفال هيكل عظمى معلق يقرقع حينما تعبث به الريح وفى النهار كنا نسر بالاصطدام به

وكان فى هذا الوقت طالب من مدرسة الطب بكامبيل يعلمنا تشريح العظام لأن أوصياءنا كانوا يزعمون أنهم يتفقهون فى عقولنا العلم التام . ليت شعرى لأى حد نجحوا ؟ ولا حاجة لأن نقول ذلك لمن يعرفنا . والأفضل بلا شك أن نلتزم الصمت أمام من يجهلنا

وقد كرت الأعوام واختفى الهيكل العظمى من الغرفة كما اختفى تشريح العظام من ذاكرتنا دون أن يترك أى أثر

ازدحم منزلنا أخيرا بالمدعوين فاضطررت أن أقضى الليل فى تلك الغرفة التى كان معلقا بها الهيكل العظمى والتى انقضى الزمن الذى كنت آلفها فيه . حاولت النوم بكل وسيلة فلم أستطع ، أخذت أتقلب وأعد دقات ساعة الكنيسة طوال الليل ... طفق مصباحى يختلج لحظة ثم انطفأ ، وقد فقد أمرتنا بعض أعضائها حديثا ، وهذا ما اقتاد فكرى نحو الموت ..

ساءلت نفسى ألا يشبه نور الصباح الذى يتيه فى الظلمات من مسرح الحياة العظيم ضوء حياتنا الضئيلة الذى لا يلبث أن ينطفئ فى كل ساعة من ساعات الليل أو النهار ؟

وانداعى الفكر عاودتنى ذكرى الهيكل العظمى ، وبينا أنا أتصور شكل الجسم الذى كان يكسو تلك العظام ، شعرت أن شخصا يدور حول سريرى يسير متسكعا بجانب الحائط ، ولقد شعرت بتنفسه السريع ، وخيل إلى أنه يبحث عن شئ لا يجده ، ويدور حول الغرفة بخطى سريعة

ولقد خدعت فى الحقيقة من شئ خلقه مخى المضطرب الذى حرم نومه ، وظننت أن وقع الأقدام التى سمعتها ما هو إلا دقات شرايينى فى صدغى ، ورغم ذلك شعرت بارتعاد مثلج .. ولأطرد من مخيلتى هذا الهذيان صحت بأعلى صوتى : « من هناك ؟ » فأحسست بأن الخطى وقفت بجانب سريرى وأجابنى صوت « أنا الطارق وقد أقبلت لأختبر هيكلى العظمى »

ومن السخف أن يظهر الإنسان الفلع والخوف من خيال بسيط ، ثم اكتفيت بأن أضغط على وسادتى وأصيح بلهجة مخالفة للأولى : « إن هذا الشاغل الذى افتادك فى مثل هذه الساعة من الليل لمضحك ؟ وماذا يهمك هذا الهيكل العظمى »

ويظهر أن الجواب انبعث من كاتبى نفسها : « إن عظام هذا الهيكل قد أحاطت قلبى ورأت محاسن شبابى الخلابة فى ربيعها السادس والعشرين ! وكيف أقاوم الرغبة الملحة فى رؤيتها ثانية ؟ »

فقلت له بدورى : « إنها الرغبة شرعية فتمم بحثك واتركنى لشأنى عسانى أجد النوم »

فرد الصوت : « إخالك وحدك وأود أن أجالسك لحظة نتسامر فيها . لقد كان يسرنى أن أساجل الناس الحديث ولكنى لم أنم فى هذه الخمسة والثلاثين سنة الأخيرة إلا الأنين فوق نيران الموت ، وما أحيل أن أحادث اليوم رجلا مثل العهد السابق »

وقد شعرت أن شخصا أقبل وجلس بجانب سريرى فاستسلمت واستمعت بترددى قائلا :

— ما أعظم ابتهاجى وسرورى للسمر والبحث سويا عن موضوع شائق نتحدث فيه . .

إنى لا أجد موضوعا مسليا أعظم من قصتى الشخصية فهل تسمح لى بسردها ؟

وقد دقت فى هذه الآونة ساعة الكنيسة الثانية صباحا

قال الصوت : « حينما كنت فى عنفوان شبابى وكنت أتمطى بين الأحياء سبب لى أحد الناس فزعا ورعبا يفوقان رعب الموت : ولم يكن ذلك غير زوجى . وإنى لا أحد ما أقارن به شعورى غير السمك المالح فى سن الشص فكأن شخصا

أجنبيا علقني بشعر عنيف وانتزعني من دار طفولتي السعيدة حتى كنت لا أستطيع أن أفكر في الخلاص ، وقد مات زوجي بعد الزفاف بشهرين بينما كان أقاربي وأصدقائي يبكون بكاء مرا لحظي التعس المكدود . وفي ذات يوم قال عمي لخالي بعد ما أطال النظر إلى وجهي : « ألا ترين أن زوج ابننا لها عين سوء صائبة حاسدة ؟ » هل أنت مصغ إلي ؟ وهل يهمك حديثي ؟

— يهمني جدا وإن أوله ليدل على أنه شائق مسل !

— أتم إذن حديثي . وقد عدت إلى بيت أبي بكل سرور . ولو أن البيئة التي كنت فيها ما كانت تشعر بشيء من محاسني.. لكنني كنت واثقة من أنني أحرز جمالا رائعا نادرا . فما رأيك ؟

— هذا شيء معقول جدا ، ولكن لا تنسي أنني لم أرك قط

— قط ؟ وماذا تعمل بهيكلي العظمي ؟ ها ! ها ! هذا لا يهم فإنني أمزح

وكيف أجعلك تتصور أنه كان في هذين التجويفين اللذين تجردا من لحمهما عينان سوداوان يتلألآن بأنواع السحر والفتنة ؟ أو أن الابتسام الذي كان يضيء هاتين الشفتين الورديتين لا يشبه في شيء هيئة الضحك المرعبة التي عرفتها ، وعندما أذكر كل المحاسن والرشاقة ومتانة هاته الانحناءات التي كانت في شرخ الشباب تتفتح كالأزهار فوق هذه العظام النخرة لا أستطيع أن أكتم ابتسامي . وإني لأتألم من ذلك . وهل يستطيع مشاهير العلماء في زمن أن يفرضوا أن عظام جسم مثل هذا تخصص للدراسة تشريح العظام ؟ واعلم أن طبيبا من الشبان المجاورين لنا شبهني بزهرة (الشمبك) الذهبية ؟

حينما أمشي كنت أشعر بأن أقل حركاتي تفجر أمواجا منسجمة تنبعث من كل صوب كالآلاء الماس . كانت تمر على ساعات وأنا أشاهد في يدي اللتين كبلتا برشاقة الرجال الذين يتأججون فيهم نشاطهم

ولكن هذا الهيكل العظمي قد أخفى عنك الحقيقة كشهادة الزور ، فلم يكن في ميسوري أن أدحض تأكيداته الوقحة . أشعر أنني أحب أن أطرد النعاس من عينيك إلى الأبد بأن أستحضر أمامك الصورة الوردية الحية لجمالي بحيث أعود من أمامك كرمة العظام المشؤومة التي تملأ ذهنك

— كنت أستطيع أن أقسم بجسمك إذا كان لم يزل حيا ، ولو أنه لم يترك منه أي أثر من العظام ؟ لكن عقلي اتخذ بالصورة الوضاءة لجمال كامل يظهر بهاءه بقوة التضاد هذا الليل الفاحم الذي يحيط بها ، وإني لا أقدر أن أقول أكثر من هذا

— استمر الصوت في حديثه قائلا : لم تكن لي صاحبات لأن أخي الوحيد صمم على عدم الزواج . كنت وحدي في خدري وقد اعتدت أن أستلقي في الحديقة في ظل شجرة ، وكانت الأحلام تستدرجني في يقظتي حتى خلت أن العالم كله قد شغفه حبي ، وأن الدراري التي ما فتئت مستيقظة على الدوام لتتمثل من نشوة بهائي . إن الصبا لتتنهد حينما تنتحل لها عذراً لتتمسح في بجناحها . وإن داست قدمي صرحاً فإن مجرد اللمس يفقده رشده . وإن فتيان العالم يظهرون أمامي كأنهم أعواد الكلأ تحت قدمي ، ولا أدري لأي سبب يلازمني الحزن والكآبة

وحينما تخرج شيكهار صديق أخي من مدرسة الطب أصبح طبيب أسرتنا ، وقد لمحته مرات مختبئا وراء ستار ، وكان أخي وجلا غريب الأطوار لا يهتم بالنظر إلى العالم الخارجي ، وكان بوده ألا تكون الدنيا مقفرة ويبتعد بالتدريج إلى أن يقبع في ركن مظلم . كان شيكهار صديقه الوحيد الذي أتاحت لي الفرص مقابلته ، وفي بلاط الفتونين يحيى الذي كنت أتخيله في أوقات نزهتي الليلية كان كل شاب مشتت الفكر عند قدمي يستعير وجه شيكهار . هل أنت مصغ إلي ؟ وما قولك في قصتي هذه ؟ »

فأجبت وقد سبقت لساني زفرة :

« وددت لو كنت شيكهار ! »

— انتظر قليلا واسمع أولا لآخر الحديث ، وفي ذات يوم مطير أصابتني الحمى فجاء الطبيب يعودني ، وكانت هذه أول محادثة جرت بيننا . كنت راقدة أمام النافذة وقد لطف ضوء الشمس عند غروبها بياض لوني ، وحينما نظر إلى الطبيب وضعت نفسي مكانه وطفقت أنظر إليه مغرقة في التصور والتأمل ، وشاهدت وجهي الشاحب في ضوء الأصيل موضوعا فوق الوسادة البيضاء كزهرة ذابلة ، وحلقات شعري الحالك تعبث بجبيني

بينا أجفاني مطرقة باستحياء ناشرة ظلا معبرا فوق مقلتي

سأل الطبيب أخي والحياء يلجم لسانه ويخفض من صوته :

« أتسمح لي أن أجس نبضها ؟ »

« أخرجت من تحت الغطاء قبضة مستديرة مدببة ولاحظت حينما تفرست فيها أنها عاطل من سواري الصغير ! » (١)

لم أر في حياتي أجهل من هذا الطبيب في جس النبض . كانت أصابعه ترتعد حينما تمس ذراعي ، فإن قاس درجة الحمى في جسمي فإني شعرت بدقات قلبه وقسها من أصابعه — هل وعيت حديثي ؟

فقلت : بكل سهولة ، إن دقات قلوبنا تعبر عن أفكارنا

— وبعد عدة وعكات وكثير من الشفاء والعافية وجدت أن عدد المفتونين الذي يؤمون بلاط حبي الخيالي آخذ في النقص حتى انتهى إلى فرد واحد ، وفي النهاية استحال عالمي الصغير إلى طبيب ودنفة

وبمناسبة مقاساتي اعتدت أن ألبس سرا خليسانا أصفر وكنت أعقد حول شعري عقداً أبيض من أزهار الياسمين ، ثم أتناول مرآتي وأذهب إلى مكاني الذي ألفته تحت الأشجار

إنك ترى بلا شك أن مشاهدة جمالنا في المرآة يكون على ممر الزمن مملا ؟ ولكن شيئا من ذلك لم يحصل لأني لا أنظر بعيني نفسهما لأني كنت في الوقت نفسه أحد الشخصين ، فكنت أختبر كما يختبر الطبيب ، وكنت أطيل النظر وأفتن وأشتعل بنار الحب . ورغما من انتباهي وحذري أغار أنين على فؤادي وسمع له صوت كنسيم الصبا في الماء

ومن هذا العهد كففت عن الشعور بالوحدة ، وفي أثناء نزهتي كنت أتتبع بنظراتي عبث أصابع رجلي الصغيرة بالرمال الناعمة ، وكنت أسائل نفسي ماذا يكون شعور الدكتور لو كان حاضرا . كنت أمثل الشمس وقت الزوال مغيرة على الزرقاء بدورها الوهاج ، ولم يعكر صفاء السكون غير صياح متقطع

(١) من عادات الهنود أن الأيامى لا يلبسن غير الثياب البيضاء ويكن ما طلقت من الحلي

لنسر بعيد ، وصوت وراء سياج الحديقة لبائع خواتم من البلور وهو ينادي نداء شجيا ! فرشت على الكلأ ملاءة بيضاء لأستلقي عليها وأسندت رأسي إلى ذراعي وأرخت ذراعي الأخرى فوق الملاءة بشكل رشيق ، وقد تخيلت أن شخصا يلحظ لاحظ وضع يدي الشائقة فشد عليها بين يديه ووضع في راحتي قبلة ذهبية وابتعد ببطء . وإن وقفنا الحديث هنا فما رأيك ؟

— « يكاد يكون ختاما مقبولا » وقد أجبتها بلهجة حالم . قالت : وستبقى الصورة ناقصة قليلا ولكنني سأقضي بقية الليل في إصلاح هذا النقص

— ولكنها تكون جافة . وكيف تدخل فيها الضحك ؟ وكيف تصل إلى جعل الهيكل العظمي يضحك ويبكر ملاعبه ؟

— دعني الآن أتم الحديث . وما إن وجد الطبيب بعض المرضى حتى أخذ غرفة أرضية من منزلنا وأعدها لعيادته . وفي هذا الزمن كنت ألهو بسؤاله عن تأثير العقاقير والسموم والكمية الكافية لقتل رجل ، فكانت هذه الأسئلة ملائمة لطبيعته فأجاب عنها بفصاحة ولباقة ، وكان من نتيجة هذه المحادثات أن صارت عندي فكرة الموت مادية لا تثير أي اهتمام ، وبذلك توطن الحب والموت عالمي الباطني . إن حديثي قد قارب النهاية لأننا وصلنا إلى المرحلة الأخيرة

— كما أننا وصلنا إلى المرحلة الأخيرة من الليل

— وقد لاحظت بعد مدة من الزمن قلقا غريبا يساور الطبيب وظهر عليه كأنه يخجل من أمر يريد أن يخفيه عني . وقد حضر مرة بثياب فاخرة وهندام ظريف ليستمير عربة أخي

« كنت فريسة لتطلع شديد فصممت على سؤال أخي ؛ وبعد أن دار بيننا الحديث من الشرق إلى الغرب قلت له : خبرني بالحقيقة يا أخي ، أين يذهب الطبيب الليلة في عربتك ؟

فأجاب أخي باختصار : إلى الموت

— خبرني بكل صراحة أين ذهب . ؟

— « ذهب ليتزوج » وقد أجاب أخي بطريقة أكثر وضوحا

— أحقا ما تقول ؟ وقد نطقت هذه الكلمة مصحوبة

بقهقهة طويلة

وقد علمت فى آخر الأمر أن الخطيبة كانت غنية ورثت ميراثا عظيما سيغدق على الطبيب ثروة طائلة . ولكن لم أهانى باخفائه هذا المشروع ؟ هلا سألته يوما أن لا يتزوج حتى لا يصمى فؤادى ؟ ولكن الرجال لا يؤتمنون . لم أعرف فى حياتى إلا رجلا واحدا ، ولكن لحظة واحدة كانت كافية لكشف الحقيقة

ولما رجع الطبيب من عمله وتهيأ للرحيل قلت له والضحك يغالبنى : « ستتزوج فى هذا المساء أيها الطبيب ؟ »

— إن فرحى قد أبكه بل زاده غيظا وحنقا

— ماذا جرى فانى لا أرى الأور كسترا ؟

— فأجاب بتأوه : هل الزواج حادث مفرح ؟

« عاودنى ضحك عنيف لا يغلب ثم قلت له

لا ! لا ! فذاك من المستحيل أن يعلن زفاف دون أضواء وموسيقى !

ثم ضايقت أخى حتى أعد معدات العرس وجعله يهيجا سارا

ولم أنقطع لحظة عن التندر بالخطيبة وعن الوقائع التى ستمر بها وعن حالتى تلقاء هذه الواردة الجديدة

— خبرنى أيها الطبيب ، هل ستستمر فى جس نبض مرضاك ؟

بخ بخ ! إن عمل العقل الباطن وإن كان غير منظور لاسيما عند الرجال فانى أستطيع أن أؤكد بأن قولى كان على فؤاد محدثى كالحراب الفولاذية

إن الزواج سيشهر بعد قليل فى الليل . وقبل الذهاب شرب الطبيب هو وأخى كأسا من النبيذ كعادتهما اليومية ، وفى هذا الوقت طلع القمر

« ثم تابعت حديثى فائلة والابتسام يملو وجهى : هل نسيت زواجك ؟ قد آن المسير »

وقد فاتنى بعض التفصيل ، فانى قبل هذه المدة قد هرولت إلى العيادة وأخذت منها مسحوقا ورضعته خفية فى كأس الطبيب

لقد شرب الطبيب كأسه بجرعة واحدة ثم قال لى بصوت متهدج من التأثر مصحوب بنظرة اخترقت فؤادى : « سأذهب » صدحت الموسيقى بأنغامها الشجية ، ثم ذهبت إلى خدرى ولبست ثوب الزفاف المنسوج من خيوط الذهب والفضة وتزينت بحلى ووضعت على شعرى العلامة الحمراء التى تميز الزوجة وذهبت إلى الأشجار لأهيئ مضجعى

وكان الليل جميلا وقد ذهبت رياح الجنوب المعشبة بمتاعب الدنيا ؛ وقد تضوع شذا الياسمين والورد حتى غمر البستان البشر والفرح

وكانت أصوات الموسيقى تصل إلى سمعى أضعف مما كانت عليه ، وطفق لألاء القمر آخذا فى النقص ، وانبعث من ذاكرتى الدنيا وصورة بيت الأسرة كأنها وهم تبدد ثم أغمضت عينى وأنا مبتسمة

وقد تخيلت أن الذين سيقبلون لمشاهدة بعض الأخيرة المنطبعة على شفتى كأنها آثار نبيذ وردى ، وأنى سأدخل فى مخدع زفافى الدائم ووجهى مضيء بنفس الابتسامة

وألقاه على مخدع زفافى وثوب عرسى المنسوج من الذهب واللجين ! لأنى حينما استيقظت من قرقعة العظام التى يخيل إلى أنها صادرة من هيكلى العظمى وجدتنى فى حضرة ثلاثة غلمان يتممون تشريح العظام فى هيكلى . وفى هذا الصدر الذى كانت تخفق فيه أفراحى وأتراحى والذى تفتحت فيه وريقات زهرة صباى كان الأستاذ يبين بسبابته عظاما واحدة فواحدة ، هلا وجدت أثرا من هذا الابتسام الذى درسته بكل عناية ؟

وكيف وجدت قصتى ؟

— إنها للذبذة محبوبة .

وفى هذه الفترة ابتدأ يعبق أول غراب

ثم سألت : « هل أنت هنا ؟ »

فلم يرد على أحد

واخترقت أشعة الصباح مخدعى فأضاءته

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته ثمانمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه اربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

قطارات الديزل السريعة

يكرر المدير العام لسكك حديد الحكومة المصرية توجيه النظر إلى أن قطارات الديزل السريعة المؤشر أمامها بحرف « D » بجداول مواعيد الصيف الصادرة في أول مايو سنة ١٩٥٢ والتي كان مؤجلا سيرها عند صدور الجداول يسير منها الآن القطارات الآتية : —

خط مصر — الإسكندرية

١ — قطار ٩٢٥ الذي يغادر مصر في الساعة ٧ر١٥ إلى الإسكندرية
٢ — « ٩٢٧ « « « « ١٢ر١٠ « «
٣ — « ٩٢٩ « « « « ١٧ر٤٥ « «
٤ — « ٩٢٤ « « الإسكندرية « ٧ر٠٠ « مصر
٥ — « ٩٢٦ « « « « ١١ر٣٠ « «
٦ — « ٩٢٨ « « « « ١٧ر١٥ « «

خط مصر — الشلال

١ — قطار ٩٨١ الذي يغادر أسيوط الساعة ٧ر١٠ إلى مصر
٢ — « ٩٨٠ « « مصر « ١٥ر٤٥ « أسيوط

وفقا لمواعيدها المدرجة بالجداول

هذه القطارات مكونة من مركبات درجة أولى مزودة بأجهزة تكييف الهواء ومركبات درجة ثانية ممتازة

مطبعة الرسالة